

مشروع القرن الثقافي



روايات مصرية للجيب

في كل رواية متعة دائمة

ما وراء الطبيعة

74

أسطورة أغنية الموت

أحمد خيري التوفيق

Looloo
www.dvd4arab.com



المقدمة

لقد تلف جهاز التلفزيون ..

لم ألمسه .. فقط فكرت في فتحه ..

يطلقون على هذا (تأثير بولى) ، وهو بصف أولئك الأشخاص الذين ليس بينهم وبين الأجهزة الكهربائية أو الأجهزة عموماً عمار . لا يعنى هذا أنهم يبعثون بل يعنى أن مجرد وجودهم كاف لتتلف الأجهزة .. لابد أن لك عما أو خالة من هذا الطراز ، ويبدو أننى أنتمى لهم بشكل ما ..

يقولون إنهم يبعثون موجات غامضة تتلف الـ ... ولكن دعنا من هذا الكلام الذى يتعذر إثباته .. كل شيء فى العالم يمكن تفسيره بهذه الموجات الغامضة .. إنها الموضة هذه الأيام ..

لقد تلف جهاز التلفزيون .. للأسف ...

المذيع أيضاً يمارس عادات غريبة ، فلا تخرج منه سوى ضوضاء إلكترونية مبهمه .. قد تقول إنها نوع من EVP أو (ظواهر الصوت الإلكترونية) التى قيل إنها أصوات الأرواح فى العالم الآخر ..

لا أفرى حقاً ..

إذن لم يبق أمامى سوى النجوم لأقدم تسليية عرفها الإنسان منذ اختراع القراءة : القراءة .. كتاب تسم متع فى الفراش على ضسوء الأبالجورة الدافئ .. كوب من الشيكولاتة الساخنة كذلك كأنها نخاع مذاب يتسرب إلى عظامى ...

إن الحياة جميلة .. متع بسيطة كهذه تجعلها جميلة ، وإن كان الحد الأدنى لمطالب الإنسان هو الممكن الذى يقبه العواصف ، والمأكى ، والأمان ...

كتاب .. كتاب .. ساعنى فى الاختيار ..

كلا .. ليس مطرقة الساحرات من فضلك فقد قرأته ألف مرة .. ليس أيا من كتب (لافكرالت) لأن الرجل يثير رعبى حتى هذه اللحظة . توفيق الحكيم متع وجميل لكنى أحفظ كل حرف كتبه .. وماذا عن العقاد ؟ صعب جدًا لعقل بدأ ينص ويتأعب ...

هناك كتاب عن الجماعات الدينية السرية فى أوروبا فى القرون الوسطى .. بقلم (جيسون مكالستر) . لا يبدو عنوانًا مثيرًا لك لكنه يذكرنى بقصة ... قصة رهيبة نوعًا ..

أنت تذكر تلك القصة ولا شك .. (مكالستر) هو ذاته مؤلف الكتاب وهو الذى

ماذا ؟ .. هل فقدتم الذاكرة ؟ .. مستحيل أن تكونوا قد نسيتم تلك القصة .. إذن أنا أكلم نفسى منذ البداية ..

ولكن .. تصوروا أننى لم أحكها بعد ! .. كيف فاتنى هذا ؟

إذن سوف نؤجل مشروع القراءة فى الفراش ، لنستبدل به مشروعًا آخر : المرد فى الفراش .. سوف أجلس تحت الأغطية وأحكى لكم تلك القصة ، وأعتقد أنها ستروق لكم ..

(مكالستر) ... أغنية الموت ...

يا لها من ذكريات !!

تجاهلهم

الأمطار تنهمر لتغمر طرقات المدينة ..

هذا جو مناسب جداً لهذه الرحلة الرهيبة .

والمسيرة السوداء تنهب شوارع (برلين) ، ومساحاتها لا تكف عن المحاولة المستميتة المينوس منها لإبقاء الرؤية واضحة ..

الرجل ذو النظارة السمكية الذى يبدو كأحد ضباط الجستابو Gestapo يجلس فى المقعد الخلفى ، يرمى ظهر السائق الذى يبدو كآلة لا تتكلم ولا تتناقض ..

الرجل يبدو كضباط الجستابو لكنه ليس منهم .. بالواقع هو يموت ذعراً منهم ..

تحسس معدته وشعر بالحمض يرتفع ببطء ..

أصلح من وضع العوينات وتنفس بعمق .. يا له من طقس لعين .. إنه يجعلك عصبياً .. لا يمكن أن يتم شيء مبهج وسط السيول والرعود والبروق .. لكنها فرصتك الذهبية فلا تتركها ..

يجب أن تهدأ .. إن اللحظات التالية قد تمثل مستقبلك كله ..

لسوف أسود ..

أنا أسود ..

لقد سدت ..

أنا الذى لا مملكة لى .

(العبارات المكتوبة على عجلة الأقدار)

تدخل السيارة شارعًا جانبيًا من الشوارع المرصوفة بحجر الإسكافي Cobblestone على النمط الذي سيمود بلدان شرق أوروبا بعد الحرب . قليل من الناس من يعرف أهمية هذا الشارع ولا ما ينتظر في رقم (6) منه . تقف السيارة المرسيدس أمام الباب فيهبط السائق متحجر الوجه ليفتح الباب لضيفه المهم .

يترجل الضيف الذى تقتله الحמוضة ويجتاز الأمتار القليلة نحو المدخل تحت الأمطار الغزيرة ، وفى النهاية يفتح الباب ..

ذلك الضابط الشاب الوسيم يتقدم ليأخذ منه المعطف ، بينما ضابط آخر يتقدم نحوه ليقبضه عبر ممر أحيط على الجانبين بلوحات عالمية شديدة الجمال ، ويبدو أنها أصيلة ..

فى نهاية الممر باب مغلق يتدلى عليه العلم النازى من أعلى . العلامة الاستعمارية القوية بلونها المميزة .. صليب (سفليستكا) الذى كان كل إنسان يعتقد أنه سيكون علم الكرة الأرضية خلال أعوام .. الرايخ

يفتح الباب ليجد أمامه غرفة مكتب حسنة التنسيق مريحة . ركن به مدفأة مشتعلة ، ومكتب فاخر ومنضدة للاجتماعات عليها بار مشروبات كامل ، والستائر مسدلة تعطى جوًا عامًا من الدفء الحميم .. مكان جميل يصعب أن تصدق أنه ما هو عليه . هنا ثلاثة رجال .. هذه ملاح أرستقراطية لا تخطئها العين .. نبلاء الأكراس الذين صاروا من قادة الجستابو ...

كبيرهم هو الواقف فى المنتصف ممسكًا بكأس من الويسكى والمونوكل على عينه ، والقامة المفرودة التى تدل على سيد أمر .. إنه يدين نوعًا بدأ يفقد الشعر فى مقدمة رأسه .. لقد فخيم يستريح عليه رأسه فى هيبة ...

ابتسامه شاعت على الوجوه .. هنا أدرك أنه يسمع (فاجنر) .. ثمة جرموفون فى ركن المكتب عليه أسطوانة لـ (فاجنر) .. (تاتاهاوزر)

قال له كبيرهم باسمًا :

— « لو سمحت لى .. لا أعرف أراك فى (فاجنر) .. »

قال الضيف العصبى وهو يتحسس معدته :

— « لا يمكن أن يكون المرء ألمانيًا من دون أن يحب (فاجنر) .. »

— « أحدث عن المنافسة المهنية ... (موتسارت) لم يحب (بيتهوفن) قط .. وكلاهما عبقرى ، فمن الجائز ألا تحب فاجنر .. »

الواقع أنه لم يحب (فاجنر) قط ، وكان يجده مفتعلًا مملًا ، لكن فى ألمانيا النازية عليك أن تأخذ الحذر فى إعلان ما تحب وما لا تحب . لقد بالغ كثيرًا فى الخوف وفى التخفى ليصير مثل

الجميع ، حتى لم يعد يعرف ما يحبه وما يكرهه حقاً .. إنه يحب ما يحبه الحزب النازى ويكره ما يكرهه .. حتى صار يسأل نفسه إذا نظر لفنساء حسناء : هل كانت الفنساء ستروق لهتلر ؟ .. لو كانت الإجابة بنعم وقع فى حبها ، وإلا كرهها بجنون ..

قدموا له كأساً فأمسكه بيد عصبية بينما جلس الجنرال عظيم الشأن ووضع ساقاً على ساق ، وقال فى استرخاء :

« سمعت ما كتبته من موسيقا بدلاً من ذلك المدعو (متدلسون) .. أهنتك .. »

« شكراً يا جنرال .. »

« هناك من رفضوا أن يكتبوا بدلاً منه ، لكنهم بهذا يفضحون عداؤهم للفوهرر وللرايخ .. »

« أنا ابن الرايخ المخلص يا جنرال .. »

ناول أحد الضباط الجنرال مجموعة من الأوراق تفحصها وهو يرشف الويسكى ، ثم نظر للضيف بعينه الزرقاوين الثاقبتين وقال :

« إن الرايخ مهتم بهذا الاكتشاف الأخير .. لكن السؤال الذى يطارد الجميع هو : لماذا لم تتأثر أنت بهذه الموسيقا ؟ »

كان على استعداد لهذا السؤال لأنه تلقاه مرة من قبل ، فقال :

« بينو أن طباطب اسم لا ينوقه .. لو أن لدى مناعة معينة .. »

انهمس الجنرال وقال :

« نحن درسنا الموضوع فى حذر .. ويمكن القول إنه صحيح تماماً ، وإنه كذلك خطر جداً .. هذا لعب بالنار على أعلى مستوى .. لقد فقتنا خمسة من رجالنا .. وقد أوصى الفوهرر شخصياً بأن نوقف المشروع .. سوف ندمر كل هذه الأوراق ونمنعك رسمياً من التعامل معه .. »

هز الضيف رأسه .. كان يتوقع هذا برغم أنه كان يأمل فى أن تتبنى الحكومة هذا الموضوع .. كان هذا يجعله أهم شخص فى ألمانيا بعد هتلر .. لكن .. لربما كان هذا أفضل .. وبالفعل شعر بالحمض يهبط فى المرىء إلى المعدة ليستريح هناك ، بعد ما أحرق نصف الأغشية التى تطلوه ..

قال الجنرال :

« ما هو تفسيرك لهذه القصة العجيبة ؟ »

« هؤلاء القوم كانوا يعرفون أشياء كثيرة .. »

« أنت قمت بإعداد العديد من هذه المقطوعات .. تقول إن الجوليارد Goliards هم من كتب هذا الكلام ؟ .. ثم وجدها باحث ما فى دير بافاريا قديم عام 1803 .. »

— « دير بندكتوبيرين Benediktbeuern يا جنرال .. »

— « ألمانيا كلها وقعت في غرام (كارمينا بورانا Carmina Burana) .. إنها رائعة لكن فيها كنك شيئاً شيطانياً .. هل تعتقد أن هؤلاء القوم كانوا يعدون الشيطان ؟ »

— « لا أدري يا جنرال .. لكنهم كانوا مارقين من المسيحية بلا شك .. »

أشعل الجنرال سيجاراً غليظاً جديراً بمنظره فعلاً ، فاتبرى الضابط الوسيم يشعله له .. نظر لطرف السيجار في رضا واستمتاع ثم قال :

— « في البداية كنا متحفظين .. نغمة الشهوانية عالية جداً في بعض هذه المقطوعات ، لكن اللحن الذي وضعته أنت يحرك نداء الحماس لا الشهوة في العروق .. هذه الضربات هي خطوات الرايح نفسها .. »

الحقيقة أن الضيف العصبى كان قد لحن الجزء الوحيد الممكن من هذه المخطوطات. الجزء الباقي جمده في العروق لأنه خلبط فريد من الشهوة والجنس والهرطقة والسخرية من الدين ..

لكن الجزء الذى جاء بسببه الآن هو بداية المشكلة .. هو اللحظة التى عرف عنها أن الأمر أكبر منه بكثير .. بعد أشهر قليلة سوف يحرر العلماء الأمريكيون الطاقة من الوحش الناصع

في نواة الذرة ، وسوف يصيبهم الذعر من الهول الذى أطلقوا سراحه .. نفس شعوره منذ أعوام ..

عندها قرر أن يلجأ لمن هو أكثر منه علماً أو قدرة .. لجأ إلى الجيستابو ..

وقد اقتضى الأمر الكثير من البحث ، حتى أدركوا أنه من الخير أن يتم دفن هذا السر الخطير للأبد . فلنكتف بالجزء الذى عرفه العالم من السر .. إن (كارمينا بورانا) هي المقطوعة الوحيدة التى اشتهرت فى ألمانيا النازية ، وبرغم هذا سوف تظل خالدة حتى اليوم .. كأن روعتها جعلتها شمساً لا يمكن تغطيتها أو دفنها ... الانفجارات الساحرة حطمت كل أسوار الرقابة ..

عام 1937 كتب الضيف لناشر موسيقاه يقول :

— « بهذه المقطوعة الجديدة ، يمكنك أن تتخلص من كل ما كتبه من موسيقا قبل اليوم .. هذه هي البداية الحقيقية لموسيقاى .. »

وهو ما حدث فعلاً ..

لقد كانت نبوءة لا تنمى ..

كان اسمه (كارل أورف Karl Orff) ...

كل عشاق الموسيقى يعرفونه ويعرفون كذلك أنه تعاون مع النازيين . الحقيقة أن هذا منطقي .. النازيون كانوا هم حكومة بلاده وقتها ، ولم يكن أحد ليطالبه بأن يتحول إلى شهيد .. لا تتوقع أن يملك موهبة موسيقار عظيم مع شجاعة فارس كذلك ... الحقيقة أن الرجل كان هشا ، وكان أقل من فارس بكثير جداً ..

كان له صديق يدعى (كورت هوبر) .. ولم يكن يعرف أن صديقه هذا معاد لهتلر ، ومؤسس لحركة مقاومة اسمها (الوردة البيضاء) . لم يكن أورف يعرف هذا كله عندما ذهب لدار صديقه في ذلك اليوم من عام 1943 ..

وجد مأساة إغريقية .. زوجة تبكى وتولول ، وقد انتثر شعرها على وجهها وامتزج بالعرق والمخاط والدموع ...

— « لقد قبضوا على (كورت) ! .. »

— « والسبب ؟ »

— « إنه يرأس جماعة سرية تحاول القضاء على هتلر ! »

عندها استدار نحو الباب بلا كلام ، فركضت خلفه وأرتمت على ركبتيها متمسكة بتلابيبه :

— « أرجوك ! .. أنت قادر على إنقاذه .. إن الفوهرر يحبك .. أنت رجل مهم في ألمانيا اليوم ! .. »

المشهد يتحول من مأساة إغريقية إلى لوحة من لوحات البروك .. كان لسان حاله يقول (يا روح ما بعدك روح) . لو انكشف أمر صداقته — (هوبر) فالويل له .. في هذا الوقت كانت أسلاك الببائو باهظة الثمن ، لأنها كانت تستخدم لشئق معارضى هتلر على أعمدة النور في الشوارع .. يمكن دائماً الاستغناء عن مؤلف موسيقى عبقري ، فالفوهرر يؤمن أن ألمانيا (ولادة) .. — « أنت مجنونة ! »

وركلها بطرف حدائه ليبعدا ، وسرعان ما كان يركض في الطرقات وهو يضم باقة معطفه على أسفل وجهه .. لقد انتهى (هوبر) بالتأكيد .. لا توجد قوة على الأرض يمكنها إنقاذه ..

بهذه البساطة تخلى عن صديق .. لكن هل أنت قادر على لومه حقاً ؟ .. الأبطال لا يوجدون في كل مكان وكل زمن .. لهذا هم نادرون ولهذا تكتب عنهم الملاحم ..

على أن ضميره ظل يعذبه طيلة حياته لأنه تخلى عن هذا الصديق الذي أعظم فعلاً ..

كان كارل أورف أول من عرف السر الذى دفن منذ القرون الوسطى^(*) ..

هذا جبل جليد ، يطفو فوق الماء جزء صغير جداً منه اسمه (كارمينا بوراتا) .. جزء خلاب جميل يعشقه الجميع ، لكنهم يعترفون كذلك بأنه غامض رهيب ...

لكن الجزء الغائص تحت الماء لم يُدمر بالكامل .. النازيون حسبوا أنهم فعلوا ، لكن هذا لم يحدث ، ولربما كان هناك من تعتمد ألا يدمره .. وكانت هناك سفن عديدة موشكة على الاصطدام به ..

(*) ما نذكر عن كارل أورف صحيح طبعا ، وقد كان علاقة قوية بالنازيين ، لكن موضوع السر الذى عرفه خيال قصصى ..

الجزء الأول

الرحلة 345

-1-

لا أخاف الطيران بشكل خاص ...

القضية هنا هي أنني أعرف أن كل شيء سينتهي على الأرجح بسرعة البرق .. عندما تقرر الطائرة أن تسقط ، فلن نقضى وقتاً طويلاً في معرفة هذه الحقيقة العظيمة .. قد تنفجر في الجو أو تشتطر شطرين وتهوى .. على الأرجح لن نرى لحظات متوترة مفصصة بالإثارة كالتي نراها في أفلام الكوارث الهوليودية ، حيث تركض المضيفة بين المقاعد شاحبة الوجه تردد :

« لا تقلقوا .. كل شيء على ما يرام .. الكابتن ممتاز ويعرف كيف .. »

قبل أن يحدث مطب هوائي فتسقط صارخة على وجهها قبل أن تكمل ..

كذلك لا أخشى كثيراً هؤلاء الملتزمين المدججين بالسلاح الذين يفجرون رأس ضحية كل ربع ساعة ، ويرغمون الطائرة على الهبوط في قبرص .. لا شيء في شخصي يغري بتلجير الرأس ... لاحظ أننا كنا في عصر خطف الطائرات وما قبل أجهزة الكشف عن المعادن ، حيث كان يمكنك ركوب الطائرة بداية كاملة تخفيها في حقائبك .. لكن هذا لم يكن يفتنى ..

لو حدث شيء فلسوف يحدث بسرعة .. يعني لن يستغرق وقتاً أو رعباً أكثر مما تسببه نوبة قلبية ..

لا أخاف الطيران وقد ركبت الطائرة عشرات المرات ، لكنني أحتفظ لنفسى بالحق في نوع خاص من الرعب النفسى هو الكلوستروفوبيا Claustrophobia .. الخوف من الأماكن المغلقة. أنت في أنبوب معننى محكم الغلق .. لا أرض تحتك .. لا يمكنك الخروج .. هل تجد وضعا آخر أقرب إلى القبر ؟ .. عليك تحمل الرحلة فوق السحاب لعدة ساعات والسقف منخفض يوشك على ضرب رأسك .. هكذا أشعر بتوتر وبأن أنفاسى عسيرة تدخل وتخرج مع كثير من الكفاح ...

هذه مشكلتى الخاصة ، ولهذا ندر أن أقوم برحلات طويلة .. ولا أقهم هؤلاء الذين يذهبون للولايات المتحدة عشر مرات في اليوم لولده ليتحملوا ما يربو على عشر ساعات في هذا السجن .. ولهذا أيضا أبتلع بعض أقراص النوم والمهدئ قبل الرحلة لأنام كجثة هامدة فلا أصحو إلا عندما تأتي لحظات الهبوط الدرامية المتوترة ..

إن قل لى بريك لماذا قصدت الولايات المتحدة فى ذلك اليوم ؟

كان مؤتمراً مهماً فى أمراض الدم ، وقد طلبونى بالاسم مع كافة التسهيلات .. أنت تعرفنى كطارد أشباح وتعرف القليل جداً عن عملى العظمى ، لكن دعنى أؤكد لك إنه لا بأس بى . بعض الأبحاث مهمة جداً . دعك من علاقات قوية مع أساتذة الغرب مما يجعلهم يتذكروننى فى كل مرة .. لولا هذا لما استطعت السفر إلا إلى أول شارعنا كما تعلم .. النتيجة هى أننى رأيت العالم فعلاً وهذا أهم شىء حققته فى حياتى

أنت تعرف أننى أمقت الولايات المتحدة .. كل شىء ضخم .. كل شىء جديد . كل شىء باهظ الثمن .. لا يوجد تاريخ تقريباً .. معظم الأمريكين لطفاء ودودون لكنهم يتحركون ككل بشكل مزعج يؤذى الشعوب الأخرى ..

كنت جالساً فى الطائرة وأنا أربط الحزام حول خصرى مردداً دعاء السفر ، منتظراً لحظة انفجار الطائرة عند الإقلاع كالعادة ، عندما رأيت الرجل الجالس جوارى ..

كان ينظر لى فى ثبات وقد شاعت ابتسامة ودود على وجهه ..

اللغة !.. إسمان ودود سوف يرافقنى طيلة الرحلة !.. أسوأ كوابيسى يتحقق .. لن يخرس لحظة واحدة .. فقط فلنأمل أن يلعب حاجز اللغة الدور المطلوب كى

— « جيسون مكالمستر ... »

صحيح .. صحيح .. لو لم تكن هذه ملامح أسكتلندية فأننا فليبينى .. المشكلة أن سرعة بديهتى خذلتنى .. مددت يدى مصافحاً ، وكان على أن أظهار بأننى لا أعرف الإنجليزية ..

— « رفعت إسماعيل .. طبيب مصرى .. »

نظر لى ثم قال :

— « المرة الأولى بالطائرة ؟ »

هنا فطنت إلى أننى أبعد متوتراً .. طبعا السبب هو رهاب الأماكن المغلقة .. لكن ليس الطيران طبعا ، لكنى رددت بما يوحى بأن الأمر قد يكون كذلك وقد لا يكون كذلك ..

— « أنا إسكتلندى .. »

— « جميل .. »

وأخذت شهيقاً عميقاً وأرجعت رأسى للوراء ..

المضيضة تقف فى العمر وقد لفت سترة النجاة حول صدرها ، وقد كانت العادة فى ذلك الوقت أن ترينا المضيضة بنفسها بدلاً من عرض فيلم .

سوف يرتفع هذا القبر الطائر وسيكون على أن أتحمّل بضع ساعات دون أن أختنق . المهم أن يتركني هذا الرجل الودود في حالتي .. أموت خوفاً من هؤلاء الودودين .. إنهم مرعبون دائماً ..
أدرك بعد قليل أنني لن أتكلّم وأنتني أسوأ جارٍ مقعد ممكن ، هكذا مد يده في حقيبة يده وأخرج كتاباً صغيراً ذا غلاف سميك Hard cover وراح يقرأ ..

الطائرة تركض على الممر جريهاً للمجنون الذي لا يمكن إيقافه ..
أغمض عيني وانتظر الشعور بالأمّ الأفنين .. ها هو ذا . آي !! نحن نرتفع ..

أخيراً تستقر الأمور فأفك الحزام ..

لقد غرق جاري في الكتاب الذي يطالعه ، وأنا من الطرّز الذي لا يرى شخصاً يطلع كتاباً من دون أن يعرف اسمه .. هكذا رحت أختلس النظر بطرف عيني .. براق ... قراءته ليست سهلة ..
(مكالمستر)

بخط كبير جداً .. هذا ليس عنواناً .. إنها العادة الغريبة الشهيرة في كتابة اسم المؤلف أكبر من عنوان الكتاب ذاته .. (جيمس مكالمستر) ... الجماعات الدينية المصرية في أوروبا في القرون الوسطى.. هذا هو العنوان وهو لا يدعو للحماس ..

لكن أين سمعت هذا الاسم (مكالمستر) من قبل ؟ .. سمعته منذ وقت قريب جداً .. يبدو كذلك إنني أعرف صاحبه جيداً ...

ذاكرتي لم تعد على ما يرام هذه الأيام .. ربما بكثرة الهموم .. لكنني سأذكر .. فقط لأتوقف عن البحث وسوف تحط ذبابة الذكرى الخضراء على ساعدي من تلقاء نفسها ...

طلبت من المضيفة الشمطاء التي تمقت نفسها والكون والبشر والقطط الصغيرة والأرهار .. طلبت منها كوب ماء فنظرت لي في الحنقار ، ثم جلبته لي ، فمسست قرصاً منوماً في فمي واهتنته ..

رحلت أجدول بنظري بين الركاب .. هذه السيدة فاتكة الحسن مصرية بالتأكيد .. جمالها لا بوصف ولا يمكن تصديقه ، ولعلها كانت أقل سحرًا منذ عشر سنوات .. لو كنت أنا أصغر عشرين عاماً لـ .. لـ ... لما فعلت شيئاً أكثر مما أفعله الآن .. أنظر لها ثم أتهد وأغمض عيني منتظراً رحلة النعاس ..

سوف أصحو في الجانب الآخر من المحيط الأطلنطي أو في القبر ..

سأعرف هذا بعد عدة ساعات ..

-2-

سمير كريسييس ..

أوت دكريسييس

فيتا ديستسابلويس ..

كانت (فاتن الشرفاوى) تعيش أكثر الأيام إثارة فى حياتها ..

فى الأربعين من العمر .. جميلة جداً كما تبلغ التفاحة ذروة
روعتها قبل أن تذبل .. ذات منصب علمى مرموق ، والرجال
يعتبرونها حلمًا يمشى على قدمين ، فهي شديدة الذكاء واللباقة ..
لكنها استطاعت أن تشعر الرجال أنها أعلى منهم وأبعد ..

الأجمل أنهم كفوا فعلا عن مضايقتها .. لم تعد ترى ذلك
الرجل الأبله أو ذاك الذى يلاحقها برعايته ولطفه أملًا أن تغير
رأيها. لقد قرر الرجال أنها أكبر منهم جدًا وأنه :

هي الشمس مصمتها فى السماء

فمن الفؤاد عزاء جميلًا

فلن تستطيع إليها الصعود

ولن تستطيع إليك النزولا

وقد أرضاهم أن أحدهم لن يفوز بها .. هذه مساواة فى الظلم .
وهي نوع خاص جدًا من العدل كما تعلم ..

قررت أن المرأة تتزوج كي تظهر بطفل أو يرعاها رجل ماديًا
أو لأنها تهلب للوحدة .. كل هذه الأسباب لا تمثل لها أية أهمية ..
على كل حال كانت قد فقدت فهم هذا الشعور المسمى بالحب ..
وقد قدرت أن أمامها خمس سنوات قبل أن تفقد الفرصة فى
الإجاب .. ولو أنجبت فى تلك الفترة فالخطر داهم .. خطر عليها
وعلى الجنين الذى قد يصل العالم مشوها لبهديها كارثة ليست
بحاجة لها. أما عن المال فدخلها يكفيها ويغض ..

كثت تعيش وحدها ، لأنها شعرت أن هذا ما ينبغى عليها كامرأة
وانتقة من نفسها لا نخشى شيئًا .. لكن الحاجة إلى رفيق أو ربما
هو الخوف جعلها تقتنى كلبًا مرعبًا من طراز (الراعى الألماني) .
كان خير رفيق لها فى وحدتها فى اللحظات التى لا يقضى فيها
حاجته داخل الشقة .. عندها تكون كارثة فعلاً ..

كانت مدرسا للتاريخ فى كلية الآداب ، ولها حضور لا بأس به
فى المنتديات والندوات .. تعرف كيف تنزل نظارتها على قصبة
أنفها وتنتظر للناس من فوق الإطار العلوى لتبدو مؤثرة .. تعرف
كيف تبدو منهمكة .. وكانت تعرف كيف تبدو أنيقة ساحرة لهذا
اختارت لنفسها التابور كزى داتم . ولها صداقات عديدة مع حشد
من الأدباء والنقاد والأكاديميين ، كما أنها تقوم بإعداد برنامج

إذا عي مهم بالبرنامج الثاني .. وفي ذلك الزمن كان البرنامج الثاني شينا مهيبا شديد الرقى .. كانت فكرة هذا البرنامج هي تتبع الأصل التاريخي للمقطوعات العالمية الشهيرة ..

الخلاصة أنه نظرت لنفسها في المراة وقالت : ما تحصيلن عليه يا فائن من إعجاب وتقدير يغنيانك عن أى رجل مهما كان .. أنت كلان مكتمل فلا تسدى هذا ...

رأت الخادمة العجوز تنظف الغرفة خلفها فكفت عن النظر للمرأة ..

سألتها الخادمة :

— « هل تريدن شينا آخر يا دكتورة ؟ »

قبل أن ترد بق جرس الباب فأتجهت الخادمة لئفتحه ، ثم علقت يده ثوان لتقول :

— « طرد باسمك يا دكتورة .. لابد من توقيعك .. »

اتجهت للباب وتناولت الطرد من ساعى البريد ..

لم تنظر للرجل لكنها تقبلت في رضا ارتباكها من كل هذا المحر الذى برز له من الباب .. لقد اعتادت هذه الأمور ..

من أرسل لى هذا الطرد ؟

لم تتبين اسما واضحا على الغلاف ، فوقعت للرجل وأخذت الطرد للدخل ..

مزقت الغلاف بسكين فوجدت بالداخل شريط كاسيت .. شريط كاسيت تم لفة بضاية بالبلاستيك ، ومعه رسالة تقول :

« بمرنى أن تسمى هذا التشيد فإذا راق لك أرجو أن تنذيه فى برنامجك — د. عمران المحلاوى .. »

(عمران المحلاوى) ؟.. لم تسمع هذا الاسم من قبل والأهم انه غريب نوعا .. له وقع غير واقعى على الأذن .. لكن من الواضح أن صاحبه مهتم بالموسيقا الكلاسية ..

فتحت جهاز الكاسيت ودمت الشريط وانتظرت لحظة ...

هل هذا حقيقى ؟

هل هى تسمعه فعلا ؟

هذه الأصوات القادمة من لا مكان .. من حجرة الكون ذاتها ، ومن زمن سحيق .. ربما هى أصداء الانفجار الأعظم الذى شهد مولد الكون ..

هل هي شهقة ديناصور صغير خرج من البيضة للمرة الأولى؟
 أم نشوة رجل كهف هوى البرق ليحرق جذع شجرة أمام عينيه .
 فرأى معجزة النار ؟ .. هل هي أغنية كاهنات (سيلكت) وهن يشرفن
 على حرق البخور والمز في غرفة التحنيط ؟ .. أم هي رقصة
 سالومي بأثوابها السبعة أمام عيني (هيرود انتيباس) الذي قطع
 رأس (يوحنا المعمدان) من أجلها ؟ .. أتراها أنشودة من أجل
 (عشقار) ؟ .. أم هي تراتيل غامضة لكهنة دير في الجبل في
 القرون الوسطى ؟

الإشهاد باللاتينية .. لا شك في هذا .. لاتينية قديمة جداً ..
 ماذا يقولون ؟

حكى رأسها محاولة تذكر أين سمعت هذا من قبل ؟

شيء قريب نوعاً من (كارمينا بورانا) لكنها أجمل بكثير ..

صوت الجوقة الأوبرالي يتصاعد حتى يبلغ الثقبوب السود
 والمجرات ثم يهبط .. يهبط .. يهبط حتى أعماق المحيط ليتوغل
 في حطام التيتانيك ويوظف لأخطبوطاً غليظاً في شعبة مرجانية ما ..
 إنه يتوغل أكثر من هذا .. إنه يتوغل في قلب الأرض ذاتها ليهز
 طبقات الماجما ...

أغلقت الكاسيت لأن كل هذا الجمال قد هزها من الداخل ..

لقد دار رأسها ..

للهزاز العصبي البشرى قدرة على التحمل بحترق بعدها ، وقد
 قرأت أن الكم الزائد من أية حاسة يحدث ألماً لا شك فيه ، لهذا
 يمكن لصوت صاخب أو ضوء ساطع أن يحدث ألماً مروعاً ..

هذه الروعة آلمت روحها وأدمتها ..

وعندما دخلت فراشها كانت ترتجف فعلاً...

نحن لا ندقق كثيراً فيما يحدث حولنا ، ولو كانت أكثر دقة
 لمسألت نفسها : أين الكلب ؟ .. لماذا توارى تحت مائدة غرفة
 الطعام ودفن أنفيه بين قالمته كانه لا يريد أن يسمع أكثر ؟ ..
 لقد توقف النشيد منذ زمن فلماذا يصصر على البقاء حيث هو ؟

أشياء كهذه لا يلاحظها الناس بسهولة ..

استمع د. (سامي الحناوى) أستاذ الكونسرفتور إلى الكاسيت
 مرتين ، ثم قال لها :

« رجع لا شك في هذا .. لكن معرفة أصوله شبه مستحيلة .. »

وضعت قدح القهوة على المنضدة وقالت :

« لكنه باللاتينية والتركيب العام قريب نوعاً من كارمينا

بورانا .. »

« أوف لم يكتب هذا ... أنا متأكد .. »

ثم حك رأسه وفكر قليلاً :

« لا شك فى أن له أصولاً وسط أوروبية .. ربما ألمانياً بالذات لكن من المستحيل التأكد من هذا .. أعتقد كذلك أن عليك استشارة من يجيد اللاتينية .. »

قالت باسمه :

« لكن من الذين يفنون ؟؟ هذا الشريط لم يسجل فى القرون الوسطى .. »

« هى فرقة أوروبية كم هو واضح .. أعتقد أن الإجابة عن سؤالك تكمن فى إجابة واحدة : عمران المحلاوى . من هو ؟ .. لماذا أنت بالذات ؟ »

« السؤال الثانى أسهل .. لأن لدى برنامجاً إذاعياً .. »

« ولماذا يريد أن يذيع هذه الأكشودة ؟ »

« إنها الرسالة المقدسة للجمال : فليرنى الكون .. فليرنى الناس .. يقولون إن الماس النادر يزوى ضوءه عندما يوضع فى صندوق مغلق ولا تراه العيون .. »

« رأيك لن يروق للمحافظين .. معنى هذا أن على النساء أن يمشين عاريات فى الشوارع وإلا نبل جمالهن .. »

قالت ضاحكة :

« لا أتكلم عن النساء بالله عليك .. أتكلم عن أروع نشيد سمعته فى حياتى ولابد للجميع أن يسمعه .. »

ثم وضعت الشريط فى علبنه ووضعت أمامه على المكتب :

« هل يمكن أن نذيعه فى البرنامج ؟ »

« المشكلة أنه ليس لديك أى شيء يقال عن هذه الأكشودة على الإطلاق .. لا تعرفين اسمها ولا مؤلفها ولا ماذا تقول ولا من يفنون .. أية قيمة تقدمينها للمستمعين ؟ »

« المقطوعة ذاتها .. »

نص الشريط فى جيبه وقال :

« هل لديك نسخة أخرى منه ؟ »

« لا .. لكنى أتق بك .. أنت منظم .. لا شيء بضيع معك سوى الذكريات .. »

ابتسم فى مرارة ونهض ...

كان يمكن لكل شيء أن يعضى بانتظام لولا الهاجس ..

سأل د. مامى العبيدة فى تهذيب :

— « أى طباق ؟ »

قالت بسرعة وبطريقة غريبة :

— « أى شىء .. أى شىء .. »

ما مضى هذا ؟ .. من حق الناس أن يجنوا لكن ليس على حسابى .. وأنت أيها السيد ؟

قال للسيد المذكور :

— « الطابق الثالث .. لا .. ليكن السادس ! »

هذا يوم المجانين إذن .. لا أحد يعرف إلى أين يذهب ولا لماذا ..

أما الرجل الثالث فكان محدداً .. يريد الطابق السادس ..

ضغط الأزرار . وببطء تحرك الوحش العملاق النائم وحرك مفاصله المصنعة .. يرتفع .. يرتفع .. يرتفع ..

لماذا يريد (عبد الظاهر) ؟ .. فعلاً لا يعرف .. لكنه نازع خفى جعله فى أمس الحاجة لأن يقابله اليوم ..

الوحش يرتفع .. يرتفع ..

ثم يتوقف .. ما هذا ؟ .. ليس هذا طابقاً

لماذا عندما مر بتلك البناية العتيقة فى وسط القاهرة ، تذكر صديقه (عبد الظاهر) ؟ ..

هو لم يرد منذ أعوام . لكنه شعر بحاجة ماسة لأن يقابله اليوم ..

أوقف سيارته أمام البناية وترجل ..

منظره غريب فعلاً بقامته القصيرة ورأسه الصلعاء والشعر الذى ينسكب من جاتبي الرأس على كتفى سترته زاهية الألوان .. كان موثقاً على تعليق لافتة تقول : فنان عبقرى . ابتعدوا ..

مكتب (عبد الظاهر) فى الطابق الخامس .. دخل المصعد العتيق .. مصعد من الطراز الذى تغلق بوابة حديدية عليك من خارجه . أغلق الباب .. هنا رأى امرأة تهرع مذعورة لتلتحق به ..

منكوشة الشعر جاحظة العينين .. كأنها خرجت لغورها من حريق .. إن النساء لم يعن جميلات كما كن فيما سبق .. يسهل لهذه السيدة أن تصبح بطلنة فيلم رعب ..

أوقف المصعد وفتح لها الباب وكاد يضغط الزر . لولا أن ظهر رجل يركض مسرعاً وسرعان ما أقدم فى المصعد معهم .. ثم ظهر رجل ثالث ...

هل تعطل أم؟

ثم أدرك الثلاثة بعد لحظة الغباء المتوقعة أنهم يهبطون
بسرعة .. بسرعة لا تصدق ..

لقد انقطعت سيور المصعد وهو الآن بهوى من ارتفاع أربعة
طوابق كاملة !!

-3-

نوتك أوبدورات

إتوك كهورات

لوتو منتيس أسيم

فرعت (فاتن الشرقوى) من إملاء بياناتها هاتفياً لموظفة
شركة الطيران ..

سوف يكون موعد الطائرة مساء غد ..

أشعلت لفافة تبغ وراحت تنفث الدخان فى أنفاة وهى ترمى
صورتها فى المراة . كانت قد اعتادت أن تلقى نظرة على
صورتها فى كل عمل تقوم به للتأكد من أنها مطابقة للشروط
الجمالية . لدرجة أنها كانت تتسنى فعلاً لو التقط أحد صورة لها
وهى نائمة لتعرف كيف تبدو ..

لماذا الولايات المتحدة الآن ؟

لا تعرف .. هناك تلك الرغبة العارمة كى ترى (أورلاندو) ..
لديها صديقات هناك . وهى لم ترهن منذ أربعة أعوام .. لقد
زارت الولايات عدة مرات من قبل . لكنها مندهشة من هذا
الحنين المفاجئ ..

كادت تنسى شيئاً ..

اتجهت لساعة الهاتف وطلبت أرملة د. (سامى) ..

— « (نبال) .. أنا مسافرة غداً إلى الولايات .. بعض الأعمال .. هل تريدني شيئاً ؟ »

جاءها الصوت المبحوح للأرملة الشابة التى تصغر زوجها بعشرين عاماً :

— « أنا بحاجة لك يا (فاتى) .. هل هذا أفضل وقت ممكن ؟ »

قالت فى شيء من الحرج :

— « إن هو إلا أسبوع .. أعرف أنك قادرة على العناية بنفسك فى هذا الوقت .. »

الحوادث تقع فى كل يوم .. لكن ندرة الحادث وغرابته تجعله مؤلماً أكثر من سواه . لو أن د. (سامى) مات فى حادث سيارة لكان الأمر أسهل نسبياً .. أما أن يموت فى حادث سقوط مصعد فهذا يطرح أسئلة قاسية : لماذا هو بالذات ؟ .. لم لم يوجل ركوب المصعد بعض الوقت ؟ .. لئنه صعد فى الدرج أو أنفى الزيارة أصلاً ...

كان صديقه (عبد الظاهر) ينتظر ركوب المصعد فى الطابق الأرضى عندما نوى الانفجار وتهاوى كل شيء وتصاعد الغبار ليخلق الجميع ... وقف بعيداً يسعل ويصق .. وعندما جاء رجال الإسعاف وعندما رأى هو الجثة المهشمة الراقدة على المحطة عرف على الفور أن هذا صديقه أستاذ الموسيقى ..

قاس جداً أن تعرف ..

المعرفة التى تأتى بعد فوات الأوان .. وبشكل ما ، ما زال عبد الظاهر يشعر بأنه سبب موت صديقه ..

مع الفقيد توفى رجل وامرأة أحدهما من مكان النهاية ..

كان هذا قاسياً بالفعل ، خاصة أنها كانت معه قبل ذلك ببومين ..

هناك نقطة لا تجسر (فاتن) على السؤال عنها وهى السؤال عن شريط كاسيت . كما قلنا هى لم تحتفظ بنسخة منه . معنى هذا أنها فقدت شيئاً بالغ الأهمية ، وبالطبع لن تتصل بالزوجة الأرملة لتسألها :

— « وفاة زوجك محزنة فعلاً .. لكن — بالمناسبة — ألم يترك شريط كاسيت لى قبل وفاته ؟ »

طبعا مستحيل ...

هكذا اعتبرت أن هذا الشريط الرائع قد ضاع للأبد .. ليكن ..
الأمل الوحيد هو أن يتصل بها (عمران المحلاوى) هذا ، ثانية
ويمنحها لمحة أخرى من الحقيقة ..

هكذا نسبت كل شيء وراحت نعد حقايبها .. حصلت على
إجازة من كل ارتباط لها وحمدت الله على انها ليست متزوجة ،
والا لكان عليها ان تجد حلاً لأولادها وزوجها طيلة فترة السفر ..

إنها مرهقة على كل حال . ووتيرة الحياة لا تتغير .. لا شك
أن زيارة الولايات القصيرة هذه يمكن ان تنعش حياتها من جديد .

كانت موشكة على وضع مجموعة من المجلات فى الحقيبة .
عندما رأت على غلاف إحدى المجلات كهلا ، صنع قبيحا ينظر
للكاميرا فى شك ، مع تعليق يقول .

« د. د. رفعت إسماعيل يقول : توقف برنامج بعد منتصف
الليل خطأ إدلوى .. »

كانت قد سمعت بسبب الفضول حلقة من هذا البرنامج ، وهو فقم
على تلقى تجارب المستمعين الخوارقية على الهواء .. بدا لها رفعت
هذا ساخرًا أكثر من اللازم وله صوت مزعج . كما أن البرنامج
بدا لها سخيفًا يقوم على تكريس الخرافة فى نفوسنا لا محاربتها ..

لعله خبر جميل أن يتوقف هذا الهراء ..

جاءت الخاتمة العجوز تساعدنا فأصدرت لها تعليماتها أثناء
السفر . التعليمات تتلخص فى : العناية بالكلب .. العناية بالكلب ..
العناية بالكلب ..

قالت الخاتمة :

« إنه مريض .. »

« من قال هذا الكلام الفارغ ؟ »

« انت تعرفين أنه مريض يا دكتوراه .. لا يأكل .. لا يلعب ..

لا يعمل مثل الكلاب .. »

قالت (فكتن) فى نفاد صبر :

« هذا لا يدل على شيء .. ليس مبررا لتركه يموت جوعا ..

اعتنى به ولو شعرت أنه مريض فعلا فلنطلبى الدكتور (شفيق) ..

لا اريد ان اعود لأجده قد مات هو الآخر .. »

مثل (مسمى) .. المعنى واضح لكن من الفسوة قول شيء
كهذا ..

هزت الخاتمة رأسها موافقة وأسلمت أمرها لله ، فهي بالفعل
تخشى هذا الكلب وتمقته .. لماذا يربى الناس شياطين ضخمة
ويطعمونها ويحضرون لها الطبيب عندما تمرض ؟

على كل حال هي تدرك جيداً أن مخدومتها فاتنة .. تعيش وحدها .. هي فعلاً بحاجة لشيطان كهذا كي يحميها ..
وهكذا في مساء اليوم التالي كانت (فاتن) فى المطار ، فى طريقها لرحلة لا لزوم لها إلى الولايات المتحدة

لم تكن الجولة فى (خزان الخليلي) سهلة بسبب كل هذا الزحام ، لكن (مادلين) كانت فارعة القامة قوية البنيان ، واستطاعت أن تفسح لنفسها حيزاً يسمح باختراق الزحام ..
(موريس) كان يركض من خلفها وهو يلهث .. مستحيل أن تشتري كل شيء وأن تبتاع تذكارات للجميع بهذه السرعة قبل الموعد ..

كانت بحاجة إلى أهرام .. أكثر من مسبحة .. جلابيب .. تمثال صغير لأبى الهول. كل هذا فى فترة وجيزة لا تتجاوز ساعتين ..
كنا قد جاءا إلى مصر فى شهر العسل .. التجربة الرومانسية الجميلة لشابين مقعنين بحب الحياة ، والعجيب أنهما كانا غريبين منذ شهر .. فى المجتمع الغربى الذى يعيش فيه الحبيبان عدة أعوام معاً قبل أن يقررا الزواج ، يفنو من الغريب أن يتعارف شابان لفترة أقل من شهر قبل أن يتزوجا .. لكنهما

-4-

إيجمنتاتيم
بوتستاتيم ..

ديزولفيت أوت جلاسوم ..

التقيا وعرفا أن مصيرهما واحد فلا داعى لإضاعة الوقت .. هكذا تزوجا وهكذا جاءا لمصر ..

كانا يتوقعان أن يجدا النيل ترسو به واحدة من مراكب الشمس ، بينما يقف كهنة آمون صلح الرعوس يحرقون البخور ويلقون الكفرة للنماسيح . على الأقل هناك أزقة ملتوية ومساجد وسحرة ثعابين وحواة وفتيات ساحرات بالخمار يقتلن : سعيدة يا أفندى » . لكن مصر كانت محبطة بالنسبة لهما .. زحام .. سيارات .. مدينة حديثة مزدحمة ، فهي ليست كم نخيلا . لكنها ليست باريس كذلك .. هو نوع من الرقص على السلم أحبطهما كثيرا .. تختلف كثيرا عما تصوراه وتختلف عن ألف ليلة وليلة .. بل انها تختلف عن قصص اجاثا كريستى .

قال لها فى اليوم الأول :

« لو كنت حاكم مصر لمنعت استخدام السيارات .. ونقصرت التنقل على الجمال .. »

قالت باسمه :

« ولأمرت الرجال بارتداء الطربوش والنساء بوضع الخمار .. لكن العالم يتغير وعلينا أن نقبل هذا .. »

لكنه أسلوب التلميط الشهير .. سوف يندشبن لو نزلنا من الطائرة فى أستراليا ولم يريا كاتجارو يتواثب ، بينما يحاول أحد رجال القبائل اصطاده بالبوميراج ..

بعد أيام بدءا يحبن مصر .. خاصة بعد الرحلة النيلية بين الأقصر وأسوان حيث لم يتغير شيء تقريبا منذ عهد الفراعنة .. وعندما عادا للقاهرة شعرا بأنهما يريدان البقاء هنا أطول ..

كان (موريس) طيارا شابا وهى كانت مدرسة .. يدهشك مدى التباين الجسدى بينهما ، فالرجل ضئيل الحجم رقيق كالفراسة بينما هى عضلية قوية البنيان والشخصية .. لكنهما متحابان فعلا حتى هذه اللحظة ...

يمكن القول إن كل شيء بدأ عندما دخل الفندق ليأخذ مفتاح غرفته . عندما استوقفه الموظف الأسمر المهدب ليقول له شيئا بالإنجليزية .. التفت إلى زوجته لتفهم ما يقال .. من الصبر فى مصر أن تقابل من يتكلم الفرنسية أو يفهمها بينما الجميع يتكلم الإنجليزية تقريبا ..

قالت الزوجة وهى تمسك بحظروف صغير :

« هذا الشيء لنا .. »

« وما هو ؟ »

— « سوف نعرف .. »

— « ومن أحضره لنا ؟ »

— « يقول إنه سيد أسمر مهذب .. معلومات غير كافية ..

لا أحد يعرف أننا هنا .. »

هزت رأسها شاكرة الرجل وعادت تقرأ الاسم على المظروف ..
فعلاً لا يوجد خطأ ما ..

في الغرفة ألقت بحقيبتها على الفراش ، ومدت يدها تنزع
المكفل .. كما توقعت كان يحتوي شريط كاسيت . بحثت حولها
فلم تجد جهاز كاسيت .. هل هي رسالة ؟ ..

قال لها وهو ينزع ثيابه :

— « لا عليك .. في المساء سنطلب من موظف الاستقبال أن

يجد لنا جهازاً .. »

وهو ما كان ..

اصطحبهما الموظف المهذب إلى غرفة جانبية صغيرة ووضع
جوارهما جهاز كاسيت صغير الحجم ، وهز رأسه محيياً ثم
انصرف ..

دست (مادلين) الشريط في الجهاز وضفت زر التشغيل

و

هذه الضوضاء الكونية الغريبة ..

قادمة من سرانيب المستحيل والمأ لا نهاية ..

إنها أصوات جوقة ملائكة لا أقل من هذا .. وهذا النشيد ؟ ...
لا بد أنه النشيد القومي للكون كله . لو توحد الكون فصار جمهورية
لصار هذا نشيده القومي . في هذا النشيد تسمع صوت الانفجار
الأول .. وتسمع زفير التيراوسوروس .. تسمع دندنة (ليست)
على مفاتيح البيانو .. بوناهرت يصدر الأوامر لجنرالاته .. كنيوباترا
تغنى .. مانا هارى ترقص .. إيزيس تغنى لحورس الصغير ..
تسمع الفرسان المسلمين يكبرون إذ توقفوا في الصحراء وقت
الغروب للصلاة ، وهم متجهون لفتح الأندلس .. ترائيل هندية
تنشدها عزاء تستحم في نهر الجانج .. السيوف تتضارب في
حرب طرواده (هكتور) يصرخ في (أخيل) ..

إنها الكون وقد تحول إلى أصوات ونغمات ..

إنها الحقيقة وقد صارت مسموعة ..

لم يتحمل أكثر فأغلق الجهاز ..

ارتمت بين ذراعيه وهى تنسج بلا توقف ..

الحقيقة أنه ارتمى بين ذراعيها بحكم صغر حجمه ..

كانا يبيكان ويرتجفان ...

همست من بين دموعها :

« قريبة نوعاً من كارمينا بورقا .. »

قال وهو يشفق :

« لكنها أروع بمراحل .. هذا الجمال غير أرضى ..

(كارمينا بورقا) تعبر عنها لو كانت الدائرة الصفراء تعبر عن الشمس .. »

فى الصباح اتجه إلى شركة الطيران ليبْتَاع تذكرتين للولايات المتحدة ..

كان عليه أن يقوم بعدد من الإجراءات المعقدة ، وطلب التأشيرة .. لكنه أتم هذا بسرعة البرق لأنه كان يعرف موعد الرحلة ورقمها ويعرف أن عليه اللحاق بها ..

قالت له (مائنين) مفكرة :

« هل تعرف لماذا نريد السفر للولايات المتحدة ؟ »

« لا .. »

« لأننا مجنونان يا صغيرى .. مجنونان .. حتى اللحظة كانت

خطتنا هي قضاء شهر عسل شرقى فى مصر .. ماذا دهانا ؟ .. »

« لا أعرف .. لكننا نريد تلك بقوة .. »

« هل تعرف أين نقيم ولا أين نذهب هناك ؟ »

« سوف نجد شركة سياحة ترتب لنا كل شيء .. »

كان هذا هو الجنون بعينه .. ولكن من قال إن الجنون ليس جميلاً ؟ .. ومتى بجن المرء إن لم يجن وهو شاب ؟ ..

ولكن كان الوقت الباقى ضيقاً ، لأن عليهما اختصار الجدول الزمنى بسرعة .. يجب شراء كل ما يريدان من تذكارات من القاهرة بسرعة البرق ..

لهذا هما يركضان بين أزقة خان الخليلى المزدهمة الضيقة .. لا يباليان بمن يكلمهما عارضاً الشراء من عنده أو خدماته ..

لابد من الانتهاء سريعاً ..

-5-

سور سالوتيس ..

إفيرتوتيس

ميهي نون كونتراريا ..

تحسس (محمود) صدره من جديد ..

هذا التتوء يدل على أن الغافة في موضعها ، وأن الشريط اللاصق موجود ومثبت. تبدو له طريقة ساذجة ، لكن (كامل) أكد له أن معظم حالات التهريب التي يتم ضبطها تتم بناء على مكالمة هاتفية من مجهول ، أو من مخبر مندرس وسط المجموعة ..

« هؤلاء القوم يرون مئات الوجوه يومياً .. ليس لديهم الوقت للتفكير حول كل واحد .. هم ينظرون لوجهك أولاً ليروا إن كنت مرتبكاً تعرق بلا توقف وترتجف .. باختصار توشك على تعليق لافتة تقول : أنا مهرب يا شباب .. الطريقة الثانية هي أن يكونوا بانتظارك فعلاً. عندئذ ينظر لك في حزم ثم يطلب منك أن تتنحى جانباً للتفتيش .. »

« وعندها ؟ »

« وعندها .. هذا هو حظك السيئ يا عزيزي ... »

كانت المقامرة برغم كل شيء جذيرة بالتجربة ..

يجب أن اضيف هنا من عندي أن إجراءات ركوب الطائرات لم تكن معقدة في ذلك العصر .. لم يكن هناك جهاز كشف عن المعادن ، ولا نزع أحذية .. هكذا يمكن لشيء كهذا أن يمر بسهولة ..

(محمود السمدوني) .. الشاب الذي جرب كل شيء وفشل في كل شيء .

عندما كان في سن الدراسة جرب أن يكون طالباً وتوصل إلى أنه متخلف عقلياً أو غبي .. لا يستطيع أبداً استيعاب ما يستوعبه الطلبة ..

في هوجة جمع العنب في فرنسا ذهب مع الشباب الآخرين ، وجرب حظه هناك .. نام في الشوارع كثيراً جداً وتمول من أجل كأس نبيذ ، وعرف فتيات يمكن أن تشم رائحتهن من على بعد أميال ، وطارده رجال الشرطة الذين لا يستطيع التفاهم معهم بحرف واحد .. وفي النهاية عاد من فرنسا دون أن يكسب شيئاً سوى قميص مشجر يفتحه حتى أسفل بطنه ، وعلبة سجائر جولواز ، وشعر رأس طويل .. وقد تعلم طريقة غريبة للتدخين تبهر الفتيات هي أنه عندما ينتهي من لغافة التبغ يقلبها لمسائه

لتنطق داخل فمه بلعابه .. هذه هي الخبرة الثقافية التي اكتسبها من باريس ، والتي جاء ينقلها لأبناء وطنه ليجتازوا الفجوة الحضارية بين الشعبين .. كما أنه صار يفرق جيداً بين أنواع النبيذ ، وكان يحزن جداً عندما يسمع أنباء وطنه لا يفرقون بين النبيذ والويسكي والبراندى . يعتبرون هذا كله (هباب) ... تبا للجهل !

سافر إلى اليونان وعمل على السفن لبعض الوقت . لكنها كانت تجربة فاشلة ، وفي النهاية سرى مالا وتلقى علة في إحدى حلات البحارة .. وإن خرج من التجربة بأن صار يشرب الاوزو ..

إنه اليوم في سن الخامسة والعشرين .. عاد لمصر وتزوج .. فقط لينسى ذلك بعد أسبوع . ولمدة ثلاثة أشهر لم تره زوجته قط ولم تأخذ مليحاً منه ..

ثم جاءه أخو زوجته (ماهر) ليقول له :

« اسمع .. أنت بارع في العلاقات الاجتماعية و(مدرج) .. أنا بحاجة لمواهبك التجارية .. أعرف أنك لست سينا كما تقتضى (سناء) .. زوج أختي هو مسئوليتي مثل أختي بالضبط .. »

وهكذا صار مسئولاً عن التعاقد مع تجار الأحذية في عدة مدن . زوج أخته كان يملك ورشة أحذية .. وقد بدأ العمل ينتعش ويعرف طعم المال في جيوبه ..

حتى جاء ذلك اليوم الذي أعطاه فيه أحد التجار ثلاثمائة جنيهه - وهو مبلغ فادح في ذلك الزمن - كعربون يوصله لأخي زوجته ..

كان جاداً ومصمماً على أن يكون أميناً ، لكن شخصية مثل شخصيته لا تستطيع أن تكون أي شيء إلا ربع ساعة .. وهكذا سرعان ما وجد نفسه ثلثاً في بار رخيص وهو يبعثر المال على النساء . ولم يسمع عنه أحد شيئاً لمدة أسبوع ..

كان يمسح فمه بظهر يده في كل مرة ويقول :

« أنا طيب القلب .. أنا ابن حلال .. ولكن حظي عائر .. »

لكن الناس كانوا قد سئموا فعلاً ، فلم يبال أحد بسؤاله عن نور سوء الحظ في سرقة أموال التجارة وهجر زوجته ...

لم يكن يكف عن الرثاء للنفس .. لقد تغيرت النفوس والناس لم يعودوا أقياء كما كانوا فيما مضى .. يبدو أنه كان هناك في الماضي أناس طيبو القلب يمنحونك المال بلا عمل تنجزه ، ولا يبالون إن سرقت منهم عدة مئات من الجنيهات . بل كانوا يتمنون لك الخير ويباركونك ..

لقد افترض هؤلاء الناس للأسف .. لم يعد هناك أشخاص محترمون أولاد ناس ..

كان يقضى أيامه بين البارات الرخيصة فى وسط البلد ، وكان ينجز عشرات المهمات الصغيرة القنطرة ، وأحياناً كان يقامر بمبالغ صغيرة ... لكنه كان يشعر أن فرصته لم تأت بعد ..

جاءه (كامل) فى الحانة الصغيرة التى اعتاد أن يجلس فيها ودعاه إلى كاس ..

(كامل) كان فى الخمسين . أشيب الشعر لكن له وجهًا وسيمًا حليقًا تبدو عليه ملامح الثراء والنعمة .. ماذا يعمل ؟ .. لم يسأل ..

قال وهو يصب له كأسًا آخرى :

— « أنت نكى وبارع و(مدرج) .. من الغريب ألا تظهر برزق يومك إلا بصعوبة .. »

قال (محمود) وهو يفرغ السائل الكريه فى بطنه :

— « النفوس تغيرت .. الناس صارت حاقدة تكره بعضها .. »

قال له (كامل) بعد لولة طالت :

— « المهمة بسيطة .. لفافة صغيرة تلتصقها بجسدك وتوصلها إلى بلجيكا .. أنت كنت فى فرنسا وليس البلد غريبًا عليك .. من يعرف فرنسا يعرف كيف يتصرف فى بلجيكا »

سأله فى حذر وهو يفتح عينيه بصعوبة :

— « مخدرات ؟ ... لن الفعل .. »

قال (كامل) ضاحكًا بطريقة من يسمع مجنونًا يتكلم :

— « هل سمعت عن مجنون يهرب المخدرات من مصر لأوروبا ؟ .. ثم إن هذه أشياء خطيرة لا تسند لغير المحترفين مثلك .. فلوس ناس .. لا .. لا تخف .. ليست مخدرات .. »

كان قد رأى كثيرًا من أفلام الجاسوسية ، لذا عاد يسأل :

— « وثلق .. هك .. خطط عسكرية ؟ »

— « لا أحد يهرب هذه الأشياء فى لفافة .. هناك ما يدعى بالميكرو فيلم يا حبيبي .. ومن جند هذه أمور لا تسند للهواة ، وأنت — عدم المؤاخاة — هلو ويمكن أن تفسد أى مشروع جدى »

« إذن ماذا يوجد في هذه الـ ... هك .. الـ ... هك ...
اللفافة ؟ »

« هذه هي المشكلة . لن نعرف .. لكنني أؤكد لك أنها
ليست مخدرات ولا وثائق .. هذا يجعلك أكثر اطمئنانا .. »

قدم له العرض ووعده بالمبلغ .. الأهم أن (محمود) شعر
بالحنين لأيام المعامرة . كان افقا . لا يصلح إلا أن يكون أفقا
مخادعا بلا هدف ولا عنوان ..

هكذا قبل .. وسرعان ما كان يستخرج لنفسه جواز سفر .
ويستكمل الإجراءات . لم يفكر لحظة في زوجته هنا فهو لم
يرها منذ عام .. أخوها بالطبع يبحث عنه لكنه هذه المرة لن
يجده أبداً ..

قبل موعد السفر بأسبوع جاءه (كامل) ملهوفاً لاهناً وقال له :

« لقد تغيرت العملية .. لن تسافر إلى بلجيكا .. »

« إذن ؟ »

« سوف تسافر إلى الولايات المتحدة .. سوف أرتب لك كل

شيء .. »

شعر بذعر .. هو يعرف أوروبا إلى حد ما ، لكن الولايات
المتحدة بدت له شاسعة جداً .. كلما تذكرها تخيل طريقاً سريعاً
واسعاً تجرى فيه سيارات قارئة ، بينما يحيط به رعاة بقر
مُرسون يتوون ضربه حتى الموت ...

« وإجراءات التسليم .. و ... »

« سوف أخبرك . الرجل سوف يقابلك في مطار (جى إف
كى) .. وسوف يصحبك إلى المصن الذى استأجره من أجلك .. »

بدا له كل هذا غريباً . وخصوصاً أن (كامل) لا يستطيع
تدبير عميل في قارة أخرى بهذه السرعة .. فقط المافيا تقدر
على ذلك . لكن المغامرة هي المغامرة وهو لا يصلح لمهنة
أخرى غير مهنة المغامر الأفلاق كما قلنا .. على الأرجح لن يعود
من الولايات .. سوف يظل هناك للأبد ، فهو قد اعتاد الفرار من
الشرطة الأجنبية على كل حال .. سوف يصير تاجر مخدرات أو
قوادا .. هذه هي الأعمال التى تناسب مواهبه ، فهو لن يجرب
أن يصير جراح أعصاب طبياً ..

هكذا وجد نفسه يدخل الحمام في ذلك المقهى ، فينزح
شبابه ويلصق ذلك الشريط ليثبت به اللفافة إلى أسفل إبطه ..

إنها في حجم الكتاب الصغير السميك على كل حال .. قاموس الجيب . خطر له أن يفتحها ثم وجد أن هذا يكلفه مبلغًا لا يأس به لأنه لن يتقاضى ماله لو أتم التسليم . هل تسقط ؟ .. لا .. إنها مثبتة بإحكام .. دعك من أن الوضع الطبيعى للذراع يجعله يضبط عليها طيلة الوقت ..

وهكذا خرج من الحمام .. أفرغ باقى كوب الشاي فى فمه . ثم ألقي بورقة مالية على المنضدة ، وحمل الحقيبة الثقيلة وهب ليستقل سيارة أجرة إلى المطار ..

لقد دنا موعد الطائرة جدًا ...

-6-

إت إفكتوس
إت دفتوس
سمبر إن أنجاریا

* * *

فى لقائهما الأخير فى ذلك الفندق بالقاهرة . قال (كلاوس) وهو يشعل نفاثة تبغ :

— « لقد تغير كل شيء .. »

فى ذلك الوقت لم تكن (عصبة الجيش الأحمر) قد قامت بعملیات خطف طائرات .. كان نشاطها فى كل مكان وكل زقاق فى ألمانيا الغربية . حتى أن هذه الحقيبة أطلق عليها اسم (الخريف الألمانى) .. هذا النشاط ينحصر غالبًا فى تفجيرات عنيفة جدًا أو اغتیالات للرموز الحكومية المهمة أو قیادات الشرطة .. لكن لا طائرات ..

إن أعضاء المنظمة لم يطلقوا على أنفسهم قط الاسم الذى اختارته لهم وسائل الإعلام (بلادر ماينوف Baader-Meinhof)

بل كانوا يطلقون على أنفسهم اسم (عصابة الجيش الأحمر) ، تيمناً بالجيش الأحمر الياباني . وهو شبيه بما حدث عندما في مصر . فتتظيم (التكفير والهجرة) لم يطلق على نفسه هذا الاسم قط .

إن (بادر ماينوف) تنظيم ألماني يساري شيوعي ولد عام 1970 بعد ثورة الشباب التي هزت العالم يباها ، وقد انشأ أربعة أعضاء منهم (بادر) والثقات (ماينوف) .

تنظيم عنيف جداً شديد الشراسة . وقد افترضوا منذ البداية أن النازيين ما زالوا أحياء وهم من يحركون ألمانيا اليوم ، وقرروا بدء حركة مقاومة مسلحة ضد الحكومة الألمانية ..

كانت لهؤلاء الإرهابيين صفة دولية ، وكانوا يتواجدون في كل مكان تقريباً ، ويقومون بعمليات لبعض .. إن القضية الفلسطينية قضية شريفة طبعاً ، وقد استقطبت منظمات مثل الجيش الأحمر الياباني IR١ (الجيش الجمهوري الإيرلندي) واستقطبت المناضل (كارلوس) وأحياناً أعضاء (بادر ماينوف) مثلاً . غريب .. أليس كذلك ؟ تذكر أن أول عملية استشهادية كنا نسمع عنها في ذلك العصر قدم بها اليابانيون في مطار اللد الإسرائيلي عندما فجروا أنفسهم في ركاب شركة العال .. كان اليساريون في العالم كله يتحركون كمنظمة واحدة ، وعدوهم كان أمريكا وإسرائيل . وهدفهم كان فيتنال وفلسطين ..

لكننا الآن بعيدون عن القضية الفلسطينية .. نحن نتحدث عن الإرهاب بمعناه القبيح العاري .. (بادر ماينوف) فعلاً من أسوأ المنظمات الإرهابية التي يصعب فهم مبرراتها على الإطلاق .. لابد أن تكون مثقفاً أكثر من اللازم ، وقرأت (هربيرت ماركوز) إلى درجة الخبال حتى نفهم منطقهم ..

كانت فكرة (كلاوس) هي أنه لابد من نقل الإرهاب إلى الطائرات .. لابد من خطف طائرة وتفجيرها ، وكان اختيارهم لشركة ألمانية ..

تم التخطيط على أساس أن يركب الطائرة أربعة من الجماعة .. سيكونون مسلحين بالمسدسات الصغيرة .. للمرة الأولى أكد أن هذا عصر خطف الطائرات حيث كان بوسمك ركوب الطائرة ومعك صاروخ عابر للقارات ذو رأس نووي ..

كان (مولر) موظفاً ألمانيا مهنياً .. لم يكن أحد يتصور أنه من كواثر الجماعة المهمين ..

التقوا جميعاً في مصر . لأن الخطة تقضى بأن يركبوا طائرة ألمانية تنطلق من مطار القاهرة إلى (بون) ..

قال (كلاوس) :

عنهما . فانه كان يعتمد فى كل لقاء فتح جهاز الراديو أو الكاسيت عاليًا جدًا .. لو كان هناك من يتنصت ففرصته معدومة فى فهم شيء .. بالإضافة لهذا كان يعتمد تشغيل دوش الحمام أثناء المناقشات ، وبهذا كان يضمن المزيد من السرية .. (كلاوس) كان بهوى الموسيقى الكلاسيكية كآى ألماني فى الواقع ، وكان ذا ولع خاص ببيتهوفن .. لا لم يحب فاجنر قط لأنه كان يعتبره جزءا من الثقافة النازية ..

فى ذلك اليوم دس (كلاوس) شريط كاسيت فى الجهاز .. هنا تعالى غناء جوقة تتشد باللاتينية .. تعلو حتى تبلغ الغضاء ثم تهبط لقاغ المحيط ... حماسية مجنونة لكنك لا تفهم حرفاً ..

قال (مولر) فى التيهار :

« جميلة .. هل هذا (كارل أورف) ؟ »

فى غباء نظر كلاوس إلى الجهاز وقال :

« لا أنكر بذلك إن غدى هذا الشريط .. وليست لدى أية تسجيلات لكارل أورف .. عميل النازية الخائن هذا .. »

« لكنها قريبة جدًا من (كارمين بورانا) .. »

« بل هى أجمل بكثير .. لكن أقول لك بصراحة : لا أعرف من أين جاءت هذه ولا من وضعها بين مجموعتى .. »

« سوف نطلب الإفراج عن سجنائنا الذين قبض عليهم البوليس الألماني عميل الرأسمالية وصنيعة الولايات المتحدة .. لو لم يلب هؤلاء الخزائير مطالبنا سنفجر رأس راكب كل نصف ساعة .. لو نفذوا مطالبنا سنطلب وقودًا يكفى لنقلنا إلى الأرجنتين . وهناك سوف نخلى الطائرة ونفجرها فى المطار .. إن عملاً كهذا سيهز وسائل الإعلام ، وسوف يعرف الكل أننا جادون .. »

لم يكن (مولر) يعرف الباقين معه ، لكنه سيرفهم فى ساعة الصفر .. هذا مؤكد .. هذه من مقتضيات سرية العمل فى المنظمة ..

هكذا أمضى أيامه فى القاهرة بتظاهر بأنه مجرد سائح ألماني .. زار الآثار وسهر فى ليل القاهرة وصادق فتاتين ألمانيتين قابلهما فى الهرم ..

(كلاوس) هو من جلب له المسنسلات والقبيلة فيبوية .. لن يحتاج لأكثر من هذا مؤقتًا .. الآخرون أيضًا ستكون معهم أسلحة ..

اقرب موعد العملية كثيرًا .. كان يقضى الساعات مع (كلاوس) فى غرفته بالفندق يرسمان كل شيء ويتفقان على التفاصيل ..

كان (كلاوس) حذرًا ، وبرغم أنه كان واثقًا من أحدا لا يشك فيهما ولا فى أى شيء ، وأن السلطات المصرية لا تعرف شيئاً

ولساعة ظلا صامتين يصغيان لهذه الألحان العبقريّة التي تنقلك لعالم غير محدد وملغز ..

فى الصباح اتصل به (كلاوس) فى غرفته وقال كلمة واحدة :

« سوف تسافر إلى الولايات المتحدة ! ... »

« هل جننت ؟ .. كل ترتيباتنا تقضى بأن ... »

« صه ! » قلها (كلاوس) فى عصبية - « لا تس نفسك وتثرثر عندما تفعل .. لا تتصور أنك الوحيد الذى يتكلم الألمانية على ظهر الأرض .. »

ثم أردف فى هدوء :

« سوف يتم كل شيء كما اتفقنا لكن على ظهر الطائرة المتجهة إلى مطار (جى أف كيه) ... الرحلة تنطلق بعد غد .. رقمها هو 345 »

« لكن أريد فهم الحكمة من ... ؟ »

« كل شيء سيتم كما اتفقنا .. والأمان سيكونون .. »

للتفاوض معكم .. لم يتغير شيء سوى الوجهة النهائية .. »

« لكن لماذا ؟ »

« هذه حسابات لا يجب أن تشغل عقلك بها .. أنت تتلقى الأوامر وتتلفذ فقط .. »

وضع السماعة شاعراً بالغليظ ..

كان أوان التراجع قد فات ، لكنه شعر بأن تغيير وجهة العملية قرار اتفعالى ولبد اللحظة ولم يدرس جيداً .. لم يدرس على الإطلاق ..

لماذا ؟ ولماذا تم تغيير كل شيء بعد تلك الليلة ؟

ماذا حدث فيها ؟

لم يحدث أى شيء غريب سوى سماع ذلك الشريط ..

هل تلقى (كلاوس) تعليمات معينة بعد العودة لمقره ؟ .. هل يرون أن الولايات المتحدة سوف تضيف صبغة إعلامية أكثر سخياً على العملية ، بينما يمكن أن يتكتم البوليس الألمانى الكثير من الأمور كما فعل فى عملية أولمبياد ميونيخ عام 1972 ؟

هل السبب هو أن الولايات المتحدة أقرب للأرجنتين من ألمانيا الغربية ؟

فعلاً لا يعرف السبب .. كل شيء مجنون وغريب .. وهو لا يستطيع أن يتذكر ويرحل .. لا أحد يفارق (يادر ماينوف) حياً ... هؤلاء لا يمزحون ..

الحل الوحيد هو أن ينفذ .. والخطر هو الخطر على كل حال .. لا يفارق إلا قتلك رصاص أمريكي أم ألماني .. على الأقل أنت تعرف طريقة البوليس الألماني في التفاوض مع المسلحين : يطلقوا أولاً من الرصاص يقتل الجميع كما حدث في عملية (ميونيخ) . ربما كان البوليس الأمريكي أقل نازية ..

أشعل لفافة تبغ وقرر أن يذهب للمكتبات الكبرى في وسط القاهرة ليجتث عن كتب ألمانية .. كتب ألمانية تتكلم عن الولايات المتحدة ..

-7-

هاك إن هوراه

سينى موراه ..

كوردى بالسلم تتجيبتى ..

لمسة على ذراعى ففتحت عىنى ..

كانت المضيفة الشمطاء تنظر لى بكراهية وهى تمسك بشوكة الشيطان الثلاثية تنوى أن تفرسها فى مؤخرتى قبل أن تلقى بى فى السعير . ثم أفقت أكثر ففهمت أنها تخبرنى بصدد الوجبة التى أريد أكلها ..

اخترت وجبة من السمك .. فنظرت لى فى غل كأنها تمنى أن اختنق بها أكله . ثم أفت بالصينية على حجرى كى أدبر نفسى وانصرفت لمقعد آخر ..

تذعبت ونظرت خارج نافذة الطائرة فرأيت أن الظلام يعمر كل شيء ..

كان الأخ الودود الإسكتلندي جوارى بلتهم طعامة كمن لم ير زادا في حياته قط . وقد وضع أمامه كأسا يجرع ما فيها في نهم واحمرت عيانه ووجهه وتلاحقت انفسه ..

قال دون أن ينظر لى :

« تمام بعمق . هذه مزية لا يملكها كثيرون .. »

لو يعرف هذا المجنون

قلت باسمًا :

« العقاقير السومة تعمل معي جيدا . هذه مزية اخرى هناك يوساء لا ينامون ولا تصل معهم العقاقير المنومة . هذا هو الطريق المسكى للإتهيار العصبى . »

ثم رحت أجوب ببصرى بين الجالسين من حولي .

كلهم يأكل .. لحظات من المرح السريع سرعان ما تزول مزية الأكل كذلك هو أنك تستطيع تفقد الوجود فى وفاحة بيوم أصحابها لا يدركون ذلك ..

هذه السيدة الفتنة التى لم أر أجمل منها ولا أروع . يبدو وجهها مائوفا لى .. هى كذلك تنظر لى كأنها تعرفنى .. لو كنت رومانياً لقلت إننا أحبيننا بعضنا فى زمن آخر وعالم آخر .

ولو كنت واقعا لقلت إننى أشبه زوجها السابق الفار من حكم بالنفقة ..

وهذا الوعد ؟ ... هذا اتفاق لا شك فى ذلك .. هذا الفتى طويل شعر الرأس ذو العينين الواسعتين الزائفتين الباحثتين عن أحمر اخر بخدعه . يبدو أنه أنهى خداع كل المصريين وينوى الذهاب لخداع الأمريكان ..

هنا زوجان لطيفان .. هذه ملامح فرنسية بالتأكيد .. عينا ابرحل صغيرتان جدا حتى لتتساءل كيف يرى بهما ... عيون الفرنسيين ... وإن كانت المرأة أضخم من زوجها بمرأجل لكهما متفاهمان .. هذا واضح ...

هذا عن الجانب الأيسر أما عن الجانب الأيمن فلا أراه طبعا لأن المقعد أعمى ..

نظرت لساعى فوجيت أننى نمت ساعتين تقريبا .. جميل جدا .. ساكل ثم اطمع فى الظفر بثلاث ساعات أخرى .. معنى هذا أن تبقى خمس ساعات من العذاب ...

ما زال العقل البشرى متأخرا .. ساقط أؤمن بهذا إلى أن يخترعوا الانتقال الآلى بحيث أدخل الكابينة فى مصر فاصير فى ولايات المتحدة خلال جزء من الثانية .. كم من عمرى ضاع

على طريق القاهرة الصحراوى أو الزراعى ؟ .. وكه ضاع على قضبان السكك الحديدية .. وكه ضاع على ظهر السفن والطائرات ؟ من المدهش ان (ابن بطوطة) و (ماركو بولو) وسواهما لم يجنوا مثلاً . تصور رحلة على ظهر الجمال إلى الصين ! ..

نظرت لجارى لى لى يأكل فى احر راده فلاحظت أنه قد طوى صفحة الكتاب ليعود له بعد التهام الطعام اسم المؤلف هو (مكالستر) ... هذا غريب ..

الان تذكرت انه قال ان اسمه (مكالستر) .. (جيسون مكالستر) ..

سألته وقد تلحنت أولاً :

« معذرة لفضولى .. لكنك قلت ان اسمك . »

وأشرت لى غلاف الكتاب . فبرز رأسه على الفور وضحك .

« نعم .. نعم .. هذا كتابى .. »

غريب هذا .. قد يبلغ بك الاعجاب بالنفس مبلغاً ، لكنك لن تجلس فى الطائرة تطالع بهذا النهم كتاباً انت مؤلفه ، ما لم يكن قد خرج من المطبعة حالاً وهو يفتش عن الأخطاء المطبعية ..

— « انت مؤلف إن .. »

— « أدرس الحضارات القديمة . مهتم بشكل خاص بالأكبرية القديمة فى قلب أوروبا فى القرون الوسطى . »

اهتمام غريب كم ترى . لكن الله قد شاء أن يسخر إنساناً لكل نقطة من نقاط المعرفة .. هناك من يهتمون جداً بسبل زراعة الارز ، وهناك من يهتمون بلاغالى الفيزيقيّة ، ومن يهتمون بطرق السج عند الرومان . ارتجف واندش كلما تصورت أن هناك من يدرسون ادارة الأعمال وتكوين الشركات . هكذا تكون المعرفة . والاجمل أن كل واحد من هؤلاء يعتقد أنه يدرس موضوعاً مثيراً ممتعاً . لا تصور حتى هذه اللحظة أن هناك من لا يهتم بامراض الدم ويجدها مملة ..

قال لى وهو يلتهم السلطة بانشوكة .

— « هل تعرف الجوليارد ؟ .. إننى مهتم بهم بشكل خاص .. »

نعم .. كما قلت لابد من شخص ما يدرس الجوليارد .. هذا مهم .. لكن من هم ؟

نظرت له فى غياء وانخص يخرج من جاتبى فمى . فلا بد أننى بدوت له كبقرة بلهاء .. قال :

— « هم مجموعة من الطلبة الدينيين كتبوا أشعارا ساخرة ثورية باللاتينية .. كان هذا فى القرن الثالث عشر تقريبا .. كان ما حركهم هو رفضهم للكنيسة الكاثوليكية بعد فشل الحملات الصليبية فى تحقيق شيء .. هل سمعت مقطوعة (كارمينا بورقا) ؟ »
ثم رفع قبضته وراح يندنن ملاحقا الضربات الموسيقية المميزة للمقطوعة .. أعرفها أعرفها .. إنها رائعة ..
أردف وهو يملأ فمه بالسلطة من جديد :

— « معظم الأشعار التى تنشد فى هذه المقطوعة هى من نظم الجوليارد .. ودعى أوكد لك أن ما نسمعه منها هو الجزء المذهب الرقيقى ... هناك كوارث فى باقى المقاطع . لابد أن (كرل أورف) أصيب بالذهول عندما فهم ما تقوله هذه الأشعار .. لقد كان هؤلاء القوم على وشك الاتصال مباشرة بالشياطين .. اسمع »

ثم بدأ يندنن بلحن قريب جداً من (كارمينا بورانا) هذه وإن كان أجمل .. وراح يهز قبضته ملاحقا اللحن .. الحق أنه بدأ يتحمس لدرجة أن صوته ارتفع جداً وبدلت أشك فى أنه مخبول ..

— « ماذا تندنن ؟ »

— « هذا هو الجزء الذى لم يدعه (أورف) من الأشعار .. لقد قام بتلحينه ثم قام بتلميز ما حصل عليه .. لكن دعى أكمل اللحن .. »
وراح يواصل الغناء ..

بالطبع هذا الكلام باللاتينية وبذى جداً .. هذان مصطلحان يعادلان بعضهما كذاك أضفت حمض الهيدروكلوريك إلى الصودا الكاوية فتتج ملح الطعام المسالم .. لو كان يردد أقدر كلمات فى اللغة اللاتينية فلن يفهم أحد حرفاً .. فليأخذ راحته اذن ..
لكن الأمور لم تكن بهذه البساطة ..

فوجدت بالسيدة المصرية الحسنة رانعة الجمال تقف عند رأسنا ..

كانت تنظر لنا باتبهار وزاوية فمها ترتجف .. ثم سألت (مكاستر) بالإنجليزية :

— « معذرة يا سيدى .. فأعرف هذا اللحن .. من أين جئت به ؟ »

نظر لها فى حيرة وفتح فمه ليتكلم .. هنا رأيته تنظر لى فى حيرة وتغمغم بالعربية :

— « وأعرفك أنت كذلك لكن لا أذكر من أين ! ... ما هذا اليوم الأسود ؟ »

هذه فوجئت بالزوجة الفرنسية الضخمة أياها وافقة جوارقنا .
وهي تسأل بالإنجليزية رديئة جدًا :

« كيف عرفت هذه الأغنية ؟ »

ومن المقعد الذي أمامي برز رأس أشقر ذو ملامح صلبة
قاسية . كان ينظر لنا في ثبات . ثم سال بالإنجليزية يبدو واضحاً
إنها ذات خلفية ألمانية :

« أنا سمعت هذا اللحن هل هو من تأليفك ؟ »

نظرت في دهشة لـ (جيسون) الذي بدا كأنه فتح بوابة
الجحيم .. كان منذ لحظة يبدن لنفسه بصوت مسموع وفحاة
صار محاطاً بجيش من الفضوليين ..

ومن مكان ما هتفت المضيفة الشمطاء :

« هلا عدتم لمقاعدكم من فضلكم » . هناك منخفض جوى
قادم .. هل توجد مشكلة ما ؟ »

تفرق الواقفون دون تعليق وعادوا لمقاعدهم وعدت أنظر
لـ (جيسون) متسائلاً :

« هل هذا اللحن شهير لهذه الدرجة ؟ »

قال في حيرة كأنه يكلم نفسه :

« على قدر علمي ليس هناك إنسان على ظهر الأرض يعرف
هذا اللحن في اللحظة الحالية سوى ...!.. إن الامر غريب ..
غريب فعلاً .. »

وهنا بدأت الطقيرة تهتز ..

واصدت المضيفة تعليماتها بربط الأحزمة ...

إنه المنخفض الجوى ... وهو يناسب حالة الاضطراب التي
شعر بها جاري ..

الجزء الثاني

الكارثة القادمة

كود بير سورنيم

ستيرنيت فورنيم

ميكوم أومفيس يلاتجيتيه

لم تكن المهمة سهلة لأن (أورف) دمر كل أوراقه تقريبا فلم يترك إلا القليل ..

(جيسون مكالسنر) حاول الاتصال به مرارا ، لكنه فشل في لقائه هكذا قرر أن يزور (بندكتويرن) بنفسه للتحري عن تلك القصة .

سافر إلى بافاريا حيث تلك القرية الصغيرة التي عاشت عصورا طويلة صاحبة . ولم يكن عدد سكانها في ذلك الزمن كثر من 3000 نسمة . يمكنك الوصول لها بالفطار من ميونيخ خلال ساعة ..

القرية كلها ديكور أقيم حول أهم معالمها : الدير العتيق الذي تحمل كل نرة منه تاريخا ثريا صاحب .. الدير الذي بنى عام 739 مكرسا للقدوس (بندكت) ..

لقد هدم الدير مرة على يد المجريين ، ثم أعيد بناؤه عام 1031 وتعرض لعدة حرائق عيفة في تاريخه. لكنه ظل مركزا دينيا مهما وضم مكتبة كبرى . وقد أعدم السويديون رئيس الدير ذات مرة لأنه رفض أن يعترف بمواضع الأشياء الثمينة الموجودة في الدير ..

وفي العام 1803 تم فرض العلمانية على بافريا وتسريح الرهبان به . فعمل معظمهم أساتذة جامعة . هكذا تسربت المكتبة الأسطورية الخاصة بالدير إلى العالم الخارجي .. هناك 250 كتابا لم يسمع بها العالم ظهرت فجأة ، وهي مجرد لمحة من أربعين ألف كتاب ..

كتاب من هذه الكتب هو الذى وقع فى يد (كارل أورف) ووجد به تلك الأشعار اللاتينية العجيبة. وسوف يصاب بالذهول عندما يجد كذلك طريقة هريدة لتدوين الموسيقى من دون نوتة موسيقية ، واسمها neume ... هذا هو ما سوف يساعده على استنتاج كيف تغنى هذه الأبيات .. هذه أشعار كتبها دارسون متعمدون من القرن الثامن والثالث عشر .. الحق أن هذه الابيات صنعت شهرته ، لكنه نمر الكثير مما وجدته لمسيب ليس واضحا ... الحقيقة أنه وجد 254 أغنية فلم يستعمل سوى القليل منها ..

لم يكن من الممكن أن يذهب (جيسون) إلى القرية ويسأل .. لا أحد يتصرف بهذه المذاجة ..

لذا أقام فى المنزل .. وخالط السياح الكثيرين المتواجدين هناك . شرب فى الحانة وتظاهر بالشمل .. ثرثر مع فتاة الغرف البديئة البلهاء ..

لقد ترك فى كل صوب من يعرف سبب مجيئه .. إنه الثرى الأسكتلندى الذى يمكن أن يدفع أى مبلغ مقابل معلومات عن الجوليارد ..

وهكذا جلس فى غرفته ينتظر ...

جاءته المساعدة لكن بطريقة غير مباشرة .. لم يأت ذلك الرجل القامض الذى يدخل كثيرا ، ليطلب منه أن يقابله فى المساحة الحلفية ومعه المال .. لقد جاءه متمسك ثمل يقترح عليه أن يقصد بائع الكتب العجوز (هيرمان) ويعرض عليه أن يرى بعض تلك الكتب ..

« قل له .. هيك .. إنك من طرفى !! »

هكذا تم الأمر بشكل مثير للسخرية ..

كان ذلك الشارع الضيق المرصوف بالأحجار والمنحدر بشكل لا يصدق ، ينص بين أشجار البلوط .. هناك عجوز جالس على مقعد يطعم الحمام وهناك امرأة مسنة تكنس الأرض ..

متجر الكتب عليه بحروف قوطية اسم (هيرمان) ..

صاحب المتجر عجوز بافارى متشكك من الطرز الذى يصلح لاستخدامه فى اعلاات البيرة . شرب كث وكرش متضخم ومونوكل على عين واحدة ..

قال له :

« لن تجد شيئاً ذا بال .. منات الدارسين جاعوا هنا وابتاعوا كل شيء كتب على ورق .. »

« هل تسمح أن أبحث بنفسى ؟ »

نظر العجوز إلى المخزن خلفه والذى امتلأ بالكتب القديمة . وهز بده .. هناك الكثير من العبر والصاكب .. لو شئت ن تقطس هناك فتلك مشكلتك ..

بالطبع لم تكن هذه مخطوطات أصلية . المخطوطات الأصلية لفدت للأبد أو هى فى المتحف . لكن هذه هى الكتب التى قام بتأليفها من وجدوا هذه المخطوطات .. أى أنها (شروح) لكنها كذلك تضم عدداً لا بأس به من الصور المهمة .

(كارل أورف) وجد مخطوطات أصلية لكنه دمرها .. كان سعيد الحظ ، لكنه قرر أن يخلق صنوبر الحظ الحسن بعد ما شرب جرعة من الماء ..

هكذا راح (جيسون) يمضى الساعة تلو الساعة فى المكتبة العملاقة يتفحص الكتب ويشرب القهوة .. كانت إعادته للألمانية واللاتينية كاملة لهذا لم يكن يلقى مشاكل من أى نوع ..

لكنه بالفعل كن عاجزاً عن معرفة ما هو مهم وما ليس كذلك ، لذا أنفق الكثير فى شراء كتب لا يعرف إن كانت ذات نفع أم لا ..

لقد تلخص كل شيء فى المكتبة . وأمضى فيها أسبوعاً .. هكذا قرر أنه على الأرجح يصعب وقته

ثم وجد الصندوق فى اليوم السابع ..

الصندوق القديم الأثرى القابع فى الركن تحت عشرات الكتب .. بالطبع صارت لـ (جيسون) صفة صاحب المكان بعد هذه الفترة وكل هذا الإنفاق ، لدرجة أن صاحب المكتبة كان يذهب للحانة ويتركه ينتقى ما يشاء .. لهذا اتجه للصندوق وفتحه ، عاين أنه أحق إذا حسب أنه سيجد ما لم يجده ألف باحث من قبل . كلهم فتح هذا الصندوق بالتاكيد .

بالفعل كانت هناك كتب حديثة نوعاً لا قيمة لها .. قصص غرامية مخيفة وروايات مغامرات ..

لكن .. هذا الرسم على الغطاء بطريقة الحفر على الخشب مع النقوش .. هذا الرسم مألوف تمام .. إنها عجلة القدر . تحيط بها العبارات الأربع المألوفة :

لسوف أسود ..

أنا أسود .

لقد مدت .

أنا الذى لا مملكة لى .

Regnabo, Regno, Regnavi, Sum sine regno

فى اللحن تدور عجلة القدر فتحيل سعادة النفس نعلسة . وتحيل نشوتهم مرارة والعكس .. (كارمينا بورانا) تغلق هذه الدائرة ..

لم يجرؤ على الأمل لكنه مد يده فى جيبه وأخرج السلك الذى ينظف به الغليون .. أولجه فى احد ثقوب الدائرة . ثم حاول أن يحركها .. إنها تتحرك !...

العجلة تدور ... تدور . لقد صار المؤشر أمام عبارة (أنا الذى لا مملكة لى) ..

هنا سمع صوت (تيك) ... لقد حدث شيء ما .. قاع الصندوق مزدوج وقد انفتح !

-2-

فيريس دولشيس إن تمبور

قلونتى ستات سلب أريور

جولياتا كوم سورور

دولشيس أمور !

(محمود السعدونى) نائم فلا توقظوه ..

يحلم بزوجته التى تركها فى مصر يحلم بـ (سيلين) أول فتاة فرنسية عرفها .. كانت تكلمه ساعات بالفرنسية وهو لا يفهم لكنه بهوى ما تقول .. كان قد تعلم أن لغة الإشارة تودى 80% من التفاهم العالمى .. لا يحتاج لتعلم اللغة سوى الأغبياء .. (سيلين) . أحبها ثم أخذ منها مالا وفر .. أخو زوجته سوف ينسفه نسفا لو وجده .. سوف يهبط فى نيويورك ليجده ينظره هناك ممسكا بمطواة ويغدها فى قلبه ...

هنا شعر بالشيء ثانية ..

فى المرة الاولى قال لنفسه انه ارهاق . ريم الشريط
اللاصق ينزلق ببطء . لكن فى هذه المرة الصوت حقيقى

شئ يتحرك فى تلك العتبة المعصية تحت ابطة شئ له
خرفشة .. ذلك الصوت الكريه الذى تقشعر له اعصابك متى
سمعت الأسفنج الرغوى المغلف للاجهرد الكهربائية يحتك ببعضه ..

شئ خشن . حى .. ينحرف فوق ورق مقوى ..

اقشعر للفكرة . وقد تذكر تلك الحرباء التى وحدها فى شرفة
داره وقد سقطت من غصن شجرة قريب . فكك يه قيل ان
يعرف ما هى . وكمان يعتبر اى شئ غريب (تعبان) يكسر
القاء صحيح ان لها أربعة أرجل وانها أقرب للسحبى لكنه لم
يكن مهتماً بالدقة البيولوجية

تخيل أن الشئ الذى فى العتبة يشبه تلك الحرباء

ومن المجنون الذى يصع شينا حيا ينحرف فى صندوق ؟
وما أهميته للرجة للتهريب ؟..

شئ واحد هو على يقين منه .. هذا الشعور بشع وكريه .. شئ
حى له خرفشة يتحرك تحت ابطك على بعد ملليمترت من صدرك ..

ماذا يفعل ؟.. بالطبع لا شئ . لا يمكن فتح العتبة هنا ..

فقط ليأمل أن تكون العتبة محكمة القلق .. وليأمل ألا يكون
لهذا الشئ عضو قادر على اختراق جدار العتبة لبلدغ صدره
هناك بين الضلوع ..

- « تبا لك يا كامل ...!... لو رأيتك الآن »

قالها وتناعب كفرس النهر ثم واصل النوم

كانت الأنواء مطفاة فى أغلب أرجاء الطائرة . باستثناء هذا
الراكب أو ذاك المصمم على القراءة . مفاصلى متصلة فعلا .

بحثت عن حذائى الذى كنت قد نزعته ، ثم نهضت بصعوبة
مارا فوق سق جارى الذى ينام فى عمق .. أريد الحمام .. ليس
نعرض مما قد يخطر ببالك ، ولكن كى أحرك مفاصلى قليلاً ..

مشيت وسط صفوف النائمى حتى بلغت الحمام .. تبا !..
هناك من يدخل دائما فى اللحظة التى تقرر أنت الدخول فيها .
دوماً أنت الأخير ..

وقفت على الباب لحظة ، حتى سمعت صوت المياه .

تفتح الباب وظهر وجه ملثوف .. ذلك الرجل قاسى الملامح الذى
كلن يتكلم بلهجة ألمانية . نظر لى بلا مبالاة ثم مشى عائدا لمقعده ..

كل هذا حميل فعلا . لكن مقعد الرجل أمامي في الطائرة وقد نهض للحمام ثلاث مرات في ساعة واحدة .. ليس من الطراز الذي يصاب بالإسهال على ما اعتقد .. إنه أنكى وأقسى من ذلك . فماذا يفعل ؟ ...

آه .. يدخل النحاس يملأ المكان من الدخان .. في هذا الزمن كان التدخين مسموح به في درجات معينة ، كما ان التدخين كان ممكنا في الحمام قبل ان تظهر أجهزة استشعر الدخان اللعينة ..

فرغت من الحمام فخرجت . هنا وجدت رجلاً ينتظر على الباب ليدخل . ألماني آخر كما هو واضح .. ألماني جداً لو كان لنا ان نصدق وجود الضبط الازلي في افلام الحرب .. فك مريع مشقوق وشعر أشقر منصوب وعينان زرقاوان سردتان ...

إنه ليس سترة جلدية سوداء ويتأهب للدخول .

ماذا حدث للآلمن ؟ .. هل كان هتلر سيحفظ بايمانه بالشعب الأخرى ، لو عرف انهم جميعا مصبون بالإسهال أو ممنون تخمين ؟

عدت لمقعدى بصعوبة في الظلام . وجلست جوار الأخ (جيسون مكالستر) .. يجب أن أنام لكن كيف ؟ .. لقد استنفدت كل النوم الممكن لي عندما ركبت الطائرة ، فلم يبق سوى أن أظل ساهراً ..

اتخذت قرارى .. هناك مقعد فارغ على يسار الرجل ، وهذا يعني أن بوسعى الانتقال له لآكون ناحية الممر .. أريد حرية حركة .. انتقلت هناك في الوقت المناسب لأن أجمل طفلة رأيتها في حياتي كنت تمشي بلا هدى في الممر المظلم .. قدرت انها ضلت الطريق لمقعدا وأنها مذعورة ..

مللت يدى فى رفق لألمس كتفها ..

المشكلة ان منظرى مربع . وأنى آخر وجه يمكن ان يريح أعصاب طفل حائف لا يجد أمه . سوف تصرخ وتصاب بتشنجات انقباضية ثم تموت .. لا شك فى هذا ..

لكنى على كل حال لمست ذراعها وقلت فى رفق بالإنجليزية .

« هل تبحثين عن ماما يا صغيرة ؟ »

نكس لم تنظر لى .. لم تصب بذعر ولم تبد أية علامة على أنها سمعتى .. فقط واصلت طريقها بين المقاعد وهى متصلة .. هه خطر لى أنها لا تبدو مذعورة .. إنها تمشى كإنسان آلى (روبوت) ومن الممكن جداً ان تكون ممن يمشون أثناء النوم .. هذا فى حد ذاته يبعث الرعب فى نفسك .. كنت طفلة حياتى أهاب المشين أثناء النوم .. إنهم يتمتعون لعالم آخر ، ولعل هذا سيب

خوفنا من أساطير الزومبي ... الزومبي - أسوأ من هذا -
يمشون موتى !!

هذه الطائرة عربية فعلاً .. هناك تجمع لا بأس به من غرباء
الأطوار ..

متى تنتهى هذه الرحلة ؟

-3-

كى تى كاريت هوك تمبور

فى فيليور

اكسى فلوسكنت أريوريس

لاسكف كاتونت فواوكريس

دولشيس أمور ا

من جديد قصدت الحمام ماشياً بين أقدام النائمين فى الظلام ..
وقفت على الباب. هنا رأيت المضيفه الأمريكية الشمطاء إياها
واقفة فى تلك المقصورة فى نهاية الطائرة ، التى يضعون فيها
عربة المشروبات ولوازم أخرى . وهى تقف خلف ستار جوار
باب الحمام ..

كانت واقفة نعم .. لكنها تمسك رأسها للجدار وتضع يدها على
صدغها كأنها تعاني ألماً مريغاً .. تهز رأسها يمينا ويساراً كأن
رأسها موشك على الانفجار ..

دنوت منها وفى أدب سألتها إن كانت بخير .. سوف ترد
بفضافة تجعلنى أندم .. أعرف هذا يقيناً لكن لا يوجد حل آخر ..

قالت وهى تغمض عينيها بعنف كأنها تحاول أن تعصر كرتى
عينيها لتخرجها :

« هذا اللحن . اللحن الذى كان جارك يردده لك والذى
جعل عددا من الركاب يحتشد .. إنى اعرفه . اعرفه بقوة .
وهو لا يفارق ذهنى الآن .. »

غريب هذا اللحن .. يبدو أنه فى الاصل يبدو أكثر تأثيرا
ويترك علامة لا تمحى فى النفس .. هذا هو التفسير الوحيد لانه
لم يسترع انتباهى قط . وماذا فيه ؟! هل به موجة خاصة
تستدعى الكلاب ويسمعها هؤلاء ؟

كان اسمها (بليندا) قرأت الاسم على (البادح) الذى تضعه
على صدره .. هى شقراء منكوشة الشعر كريهة جدا تمثل
القبح الغربى الحقيقى .. قلت لها :

« مس بليندا .. هل تذكر لحن يدفع إلى هذه الحركات
المجنونة ؟ »

« لا أدرى . انه يحرك شيئا فى النفس . »

ثم أردفت كأنها تحلم :

« كنت فى شقتى فى نيويورك منذ عشرة أيام .. جاء
صديقى (جيك) ذات ليلة ومعه هذا الشريط .. سمعناه فشعرنا
بشعور لا يوصف .. لقد قضينا الليل نصفى له أكثر من مرة ..
فى الصباح عرفت أننا ساكون مضيفة فى الرحلات بين باريس
والقاهرة .. طلبت أن أعمل على هذه الطائرة بالذات .. القاهرة
نيويورك .. »

« هذا مزاج شخصى .. لا مشكلة هناك .. »

قالت وهى تشرب كوبا من الماء :

« انت لا تفهم .. لا أعرف السبب الذى دفعنى لذلك .. لم
يكن مفترضا أن أكون على هذه الطائرة قط .. »

« وماذا عن (جيك) هذا ؟ »

« مات .. »

قالتها فى بساطة كأنها تستمتع لوفاعته مثلاً .. أصابنى الذهول ..
صديقها مات منذ عشرة أيام أو أقل لكنها حزينة لأن اللحن
بحيرها !

« أنا آسف لسماع هذا .. »

— « لا عليك .. لميب ما قرر أن يجرى جراحة استئصال اللوزتين .. فجأة صار منحمسا وراح يؤكد إنه يعاني التهاب لوزتين مزما وقد حان الوقت للخلاص منهما . قلت له إنه مجنون . هذا القرار لا يتخذ فجأة . لم يشك قط ولم أر احدا يجرى جراحة اللوزتين وهو فى هذه السن .. لكنه كان مصرا .. فى المستشفى مات على الفور بمجرد حرقه بالمخدر . يقولون إنها حساسية لا يمكن التنبؤ بها .. »

— « هذا موصف كأنه كان على موعد عاجل مع قدره . »

هتلت فى حماس :

— « نعم . أنت لخصت الموقف . موعد عاجل مع قدره ولم يكن بوسعها ان تاحر أو يؤجل . على كل حال تغلبت على الصدمة وقررت أن أعود للعمل .. هذه هى رحلتى الاولى .. »

— « وبالطبع نذكرك اللحن الذى كان صاحبه يشننه بكل شيء . »

— « فعلاً ... »

هذه اطول محادثة تبادلتها مع مصيفة طائرة فى حياتى . وحيدان واقفان فى نهاية الطائرة نتبادل الاسرار همسا .. هذا غريب فعلاً ... المضيفات دوماً رسميات متخفيات .. ضحكة مشرقة لكنها لمست لك ..

يبدو انها فطنت لذلك بدورها فاعتذلت وقالت بلهجة رسمية باردة :

— « هل من خدمة أقدمها لك ؟ »

بالطريقه المصريه المعروفة (إحنا حنتصاحب والا إيه) .
هكذا احمرت أنى .. لا بأس . كنت اتوقع هذا لكه ثم متأخرا نوعا هزرت راسى لها ودخلت الى الحمام .

فى الداخل رحت ارمق أنى فى المرآة .. حمراوين فعلا . ما رلت حماس بعد كل هذه الأعوام من تلقى الإهانات . هذا شيء مزعج ...

لو فكرت فى الحافز القامض الذى دفعها للعمل على هذه الطائرة ألا يبدو هذا نوعا من الذير ؟ ماذا عن الحافز الخفى الذى شعر به الاخ (جبك) ودفعه ليجرى جراحة لا حاجة له بها ؟

هل هناك أشياء غريبة هنا ان صرت عجوزا متشكك ؟

1 — اشخاص كلهم سمعوا ذلك اللحن الشبيه بكارمينا بورا .

2 — مصيفة قررت فجأة أن تعمل على هذه الطائرة . وهى تعانى مشاكل مع ذلك اللحن .

3 - ألمان مصابون بالإسهال أو مرض سلس البول.

4 - طفلة مصاب بجوال النوم .

هذا كل شيء وهو كذلك قد لا يعنى أى شيء .

على كل حال سوف نصل سريعا ويمكن لى تسيان هذه اللحظات ..

إن جلوسك مفتوح العينين وحدك فى الظلام يجعلك عصبيا ..
لا شك فى هذا ..

عدت لمقعدى بصعوبة ، لأقابل رجلاً ثالثاً يتجه للحمام .. هذا رجل من الطراز الفارع قوى العضلات النازى إياه .. لو لم يكن ألماتى آخر فلأنا مجنون .. شرب كئ وشعر طويل يغطى كتفيه .. سوف اكتب يوما ورقة بحثية مهمة تخلص مسمى فى تاريخ الطب ، عن الاسباب التى تجعل الألمان يصابون بالإسهال أكثر من سواهم ..

جلست فى المقعد .. هنا رأيت ذلك الرجل الذى كان يجلس أمامى ينهض .. مشى فى الممر متجهاً لمقدمة الطائرة وفى طريقه نهض زميله الذى دخل الحمام من قبل .. وهكذا اتجه معا للمقدمة ، ووقفنا لحظة .. ثم قرع الباب مرتين .

فى ذلك الزمن لم يكن هناك دكتافون أو جرس ، ولم تكن هناك كاميرا أو عين سحرية يعرف بها الطيارون من يقف على الباب

الفتح الباب ورأيتهما يدخلان ..

ما هذا ؟ .. ليس من حق أحد ان يدخل قمرة القيادة ما لم

-4-

كى تى كاريت هوك تمبور

فى فيليور

أكسى فلوسكنت أريوريس

لاسكيف كاثونت فولوكريس

دولشيس أمور !

* * *

هذه كانت اللحظة التى يستظرونها كم يبدو .

من مؤخرة الطائرة ظهر ذلك الرجل كئ الشارب الذى تمل
الحمام منذ دقيقة .. كان يقتاد أمامه مضيفين . واحدة منهما
هى الشمطاء والأخرى رأيتها فى بداية الرحلة فقط ..

كان يحمل سلاحاً .. مسدساً على وجه التحديد ، وكان يصوبه
إليهما ..

كان معظم الركاب نائمين . لكن الرجل صاح بطريقة كفيفة
بإيقاظ الجميع :

« أعيدى الأضواء ! »

وفتح الجميع عيونهم مذعورين ..

هنا عاد الضوء من مكان ما فأعمى عيوننا .. ورأيت رجلاً لم
أره من قبل يقف فى الممر ملوحاً بمسدس صائخاً بتلك اللهجة
الألمانية العنيفة :

« فليعلم الجميع أن هذه الطائرة مخطوفة ! ... »

نصاعد الصراخ والشهقت .. أراهن على أن 80% من الجالسين
حسب أنه يحلم وأن هذا كابوس ...

« لو التزمت بتعليماتنا فلن يضر أحد .. لا نريد أبطالاً هنا ..
أية محاولة للتمرد أو المقاومة ستقابل بطلقة فى الرأس ..
تذكروا أن إطلاق الرصاص مخاطرة شديدة على ضغط الطائرة ،
ونحن لن نتورع عن الإطلاق على النواذ .. يجب أن أقول كذلك
إننا جميعاً نحمل قنابل ! »

هكذا فهمت سبب دخولهم الحمام بكثرة .. يركبون قطع
المسدسات المفككة .. أو يعدون فتائل المتفجرات أو أى شيء من
هذا القبيل ..

فأعبرى فعلاً .. لم يمر على بدء الاختطاف أكثر من عشر
ثوان ، وهاتذا قد خمنت الأمر .. لا توجد فى العالم فى هذه

اللحظة سوى منظمة ألمانية واحدة يمكن أن تفعل ذلك .. منظمة (بادر ماينوف) . وهى على قدر علمى لم تخطف طائرات بعد لكن لابد من بداية ..

ثبأ سبلة لأن هذه المنظمة معروفة بالتوحش والقسوة .. ومطالبهم غريبة جداً . مثل القضاء على الرأسمالية وانتصار الشيوعية .. معنى هذا أننى سأفقد حياتى لو لم تنتصر الشيوعية بسرعة .

كان الجو متوتراً .. وقد قدرت ان أنهم أربعة .. واحد هو الذى كان يجلس خلفى هناك ذلك الوسيم البارد الذى يبدو كضابط نازى .. هناك ذلك الذى يهدد المضيفتين . وهناك ذلك الذى وثب من مقعد فى المقدمة ..

طبعاً هناك اثنان يهددان الطيارين الآن ..

منعاً للخلط سأفترض أن أسماءهم هى :

مولر : الرجل الأشقر الذى كان يجلس أمامى ..

هانز : الرجل الذى يبدو كضابط نازى ..

بيتر : الرجل كثر الشارب ذو الشعر الطويل (وهو ما عرفت فيما بعد أنه صحيح) ..

ماير : الرجل الذى برز الآن من مقدمة الطائرة ..

قالت المضيفة المذعورة لنا :

« نغذوا ما بقول وستكون جميعاً بخير .. »

ثم انفجرت فى بكاء هستيرى .. وهو ما يدل على أننا بخير فعلاً ..

راكب جالس نهض قليلاً وقال فى رعب :

« أريد الذهاب للحمام ... »

« لا .. »

قالتها الذى يهدد المضيفتين والذى سنسميه (بيتر) .

« لكننى موقوف ... »

« لا .. »

لقد تحركت امعاء الجميع وستكون تجربة قاسية فعلاً لو قرر هؤلاء ألا ندخل الحمام بقية الرحلة ..

الزوجة الفرنسية الشابة تنكس على صدر زوجها . والكاتب السكوتلندى ما زال نائماً .. لن يوقظه سوى سقوط الطائرة وسرطان البحر الذى سيطبق كلاباته على مؤخرته إذن ..

قامت بهزد بعنف فصحا مذعوراً وأطلق سبلة ..

قلت له مشيراً إلى مسرح العمليات :

« هناك من يخطفون الطائرة .. من الصعب أن تنام وسط هذه الأحداث .. »

أطلق سببة أخرى وراح ينظر حوله متسرع العينين مبهور الأنفاس ..

-5-

كى تى كاريت هوك تمبور

فى فليبور

سى تينيريم كولم كويبو

تى نيمورى ساب فوليو

لوسكيولارير كوم جوديو

دولشيمس آمورا

خمسة أعوام كاملة احتاج لها (جيسون مكالمستر) كى يحل الأوراق التى وجدها فى قاع الصندوق .. وفى كل يوم كان يعرف أنه وقع على كشف حياته .. أهم شيء عرفه منذ تخرج فى الكلية . لكنه كذلك أدرك أنه سر مخيف من تلك الأسرار التى يجسدر بنسا تركها كما هى .. شيء من الأشياء التى كان لا يفكر فى (يطلق عليها مصطلح (الذى لا اسم له) ..

كان على يقين من شيء واحد : هذه الأوراق وقعت فى يد أورف) . هى أو نسخة منها .. هو يعرف أن (أورف) دمر

أكثر ما وجدته . فهل رغم ذلك وأخفاه فى صندوق وجد طريقه إلى هنا بعد الحرب ..؟ أم أن هذه نسخة أخرى فعلا ؟

ما يعرفه هو أن هناك مقاطع كاملة مما استعمله (كارل أورف) . وبعض مقاطع (عجلة الحظ) موجودة فعلاً .. لكن أغلب ما وجدته كس جديداً .. وكان يحمل ذات الطابع المشنوم المقبض ..

هناك خلطة غريبة فى هذه الأشعار .. الكثير من العواطف الرقيقة والكثير من الهرطقة والكثير من الإباحية والمجون والكثير من التحدى ..

المؤكد كذلك أن هذه الأشعار ليست ألمانية فقط . إنها تحمل علامة من كل بلد فى أوروبا تقريباً (وكل بلد فى أوروبا كان يستعمل اللاتينية فى ذلك الوقت . كما أن الفصحى لغة تجمع البلدان العربية مهما اختلفت اللهجات) . ومن المؤكد أن أكثر من واحد كتبها ... هناك اسمان مؤكدان هما (فالتر شاتيون) و (بيتر بلويز) .. وهناك شاعر غامض اصطلاح الدارسون على تسميته (كبير الشعراء) Archpoet ولا أحد يعرف عنه الكثير . لكنه يشبه (أبو نواس) عندنا فى مجونه وولعه الشديد بالخمر . لدرجة أنه يمتنى ألا يموت إلا فى حانة .. لا أحد يعرف بالضبط

سبب تسمية (الجوليارد) بهذا الاسم . لكنه قريب جداً من لفظة لاتينية تعنى (الشخص المرح) ..

كانت الأشعار مقسمة لأربعة أجزاء واضحة :

- بريمو فير (الرابع) .

- إن تاهيرنا (فى الحانة)

- كور دامورز (محكمة الحب)

- بلاتزفلور اهيلينا (بلاتسفلور وهلين) .

هناك أبيات كثيرة لم يستطع ترجمتها ولم يعرف إلا ما ترمز .. لذا أخذها كما هى .. إن اللغة اللاتينية كانت حية فى ذلك العصر . وقد تغيرت كثيراً وتسرب لها الكثير من الألمانية ..

وجد كذلك طريقة غناء هذه الأبيات التى تدعى neume .. وقد استعان بصديق مولع بموسيقا القرون الوسطى . كى يتوصلا إلى اللحن التقريبي لهذه الكلمات كما كانت تنطق وقتها ..

إنه رائع .. مذهل ...

كان اسم صديقه (أندرو) ، وهو عاشق للموسيق بشكل لا يوصف . شيء بدى يعرق بكثافة . ويدخن بكثافة أكثر ، وله شعر طويل ينسدل على كتفيه ..

فى ذلك اليوم قال لأندرو :

« هذه الأكلان يجب ان يسمعها العالم .. »

قال له وهو ينفث الدخان بكثافة :

« لست ميالا لذلك .. إن بقاء هذه الأشعار سرا وإخفاءهم

لها ، له بالتأكيد سبب مهم .. »

« هل تعنى ما فيها من كلام ماجن ؟ .. لا مشكلة هناك ..

كان هناك من يسيك باللغة السواحيلية .. لن تفهم شئامه ولن

تهتم على الإطلاق .. »

« اللحن نفسه أسر ومخيف .. إنه جمال باهر يشعر المرء

بالرعب عندما يطلع الناس عليه .. أحيانا يكون من الحكمة

ألا تنظر لبهاء الشمس أبدا .. »

ثم فكر (أندرو) قليلاً وحك لحينه وقال :

« « الم يخطر لك أن هذه الأشعار على اتصال بالشياطين فعلا ؟ »

« أنت تقول هذا الهراء ؟ »

« « ليس هراء تماما .. لماذا ماتت أسماك الزينة فى بيتى فجأة عندما عزفت الأكلان أمامها ؟ . ولماذا تقوس القط وانفلس شعره وراح يطلق زبيرا مرعبا .. »

« أنت تعرف خيرا منى أن أذان الحيوانات قد تلتقط نغمات مؤلمة لا نسمعها نحن .. »

« « لقد فكرت فى الأمر بصورة أخرى .. هذه الأكلان استدعت شيئا لا نراه نحن . لكن هذه الحيوانات رآته .. »

نظر (جيسون) إلى طرف السيجار المشتعل فى يد صاحبه للبهين ، وراح يتذكر ..

لماذا منعت الكنيسة هؤلاء الجوليارد من المشاركة فى الإنشاد عام 1227 ؟ .. لماذا ثار عليهم قتل (تريفرز) ومنع ذكر اسمهم ؟ .

لماذا منعوا من دخول الكنائس في (كولونا) ؟ ... لماذا عوملوا
دوماً معاملة الهراطقة ؟

لكنه استبعد الفكرة .. لو كان لدى أحد شك فيهم لحرقوا
بلا مناقشة . ما كان أسهل الحرق في تلك العصور ..

على كل حال لقد بدأت هذه المخطوطات تضايقه ..

مرة أو مرتين وضعها في خزانة مغلقة . ثم صحا من النوم
ليجدها على المنضدة أو المكتب ..

قام (أندرو) بتسجيل الألحان على شرائط . ثم قرر أن
يمسحها ليبدأ من جديد .. لكن عملية مسح الشرائط على
الكاسيت باءت بالفشل .. مهما فعلت بطل الشريط كما هو ..

هذه أشياء غريبة وتثير الغيظ . لكنها لا تفسر بموضوع
الشياطين هذا ..

طلب من أندرو أن يقابله ليتخذا قراراً نهائياً بصدده هذه
الأشعار والتسجيلات . لكن (أندرو) اعتذر لأنه سيقوم برحلة
بحرية باليخت الخاص به صباح غد ..

— « هذا وقت سخيئ للنزهة البحرية .. »

ليتسم أندرو وتحسس صدره البدين :

— « إته هذا النداء لهواء البحر .. عندما يأتيك فانا ألبى
بلا مناقشة .. أشعر بأننى اختنق .. سوف نلتقى بعد يومين
ونناقش هذا كله .. »

بالطبع لم يلتقيا قط . ولن يلتقيا إلا يوم الحساب . لأن اليخت
الصغير لم يعد ..

ارتطم بالصخور وانقلب .. وبعد أسبوع جرفت
الأمواج الحطام ومعه جثة أندرو ... هذه من الأمور التي
تثير جنونك . لو تأخر كثيراً .. لو عدل عن رحلته هذه ..
لو لفتت بكلامى

لكنك أحياناً تشعر بأن الموت له نداء لا يمكن التخلف عنه .
والذين يقرعون قصص الحوادث بضاية يقابلون دوماً هذا الفتى
الذى أصر على ركوب الطائرة التي ستسقط أو السفينة التي

متفريق ، برغم عشرات الحوادث الصغيرة التي كان يمكن أن تجعله يعدل عن ذلك ، عندها يمصصون شفاههم قائلين :
« يا سلام .. ضُر ! » ..

مات (أندرو) تارك (جيسون) يواجه السر وحده ..

كسان ما فعله (جيسون) هو أن كتب كتابه المنتظر معتمداً على 10% مما عرفه فعلاً ، وقرر أن الباقي خطر فعلاً وبحس الابتعاد عنه حالياً ، لكنه اتخذ احتياطات علمية بسيطة قبل هذا .

لقد اتخذ القرار عندما لم تعد هناك حاجة له ، لقد اختفت المخطوطات وشرائط الكاسيت من خزانته !

الفكرة المرعبة التي خطرت له ، هي أن هذه المخطوطات عرفت أنها عادت للحياة ، وهي مصممة على أن تعيش .. أن توجد !!

لكنه كان رجلاً علم ولم يكن مهتماً بهذه المخافات .. لقد فقد مخطوطات مهمة فعلاً وليست لديه طريقة لمعرفة

كيف فقدهما .. لا توجد سرقة .. هو يعرف أن التفسير أعقد من ذلك وأن إبلاغ الشرطة لن يحقق شيئاً ، دعك من أنه فعلياً سرق هذه الآثار من الحكومة الألمانية فلا داعي لدخول الشرطة في القصة ...

كان يذكر اللحن والاغنية الأساسية التي استنبط نغماتها مع صديقه .. وكسان يتذكر مقاطع كاملة من الأشعار .. لكنه نسي الكثير كذلك ..

قرر السفر في رحلة سياحية إلى مصر ، وقد ساعدته هذه الرحلة كثيراً في نسج الأحداث العاصفة الأخيرة .. إن مصر بلد مفعم بالأسرار ، لكن هناك كثيرين يبحثون فيها لو تذكرت عدد الكتب التي صدرت عن الهرم أو سحر المصريين .. لو كتبت عن مصر قأت فترة في بحر ، بينما أنت الوحيد المتميز الذي يعرف كل شيء عن الجوليلارد ..

هناك في مصر جاعته بالبريد الطبعة الجديدة من كتابه ، وقد راح يطلعه في نهم كأنه يراه لأول مرة .. وهنا خطر له خاطر غريب وغير مفهوم ..

لماذا لا يسوقه في الولايات المتحدة ؟ ... إنه لم يجرب
التسويق في الولايات المتحدة من قبل ، ويقال إنها سوق نهمة
متعطشة للكتب .. هكذا تبادل بعض المراسلات مع ناشرين هناك .
وكانت الموافقة ..

برغم هذا شعر بأنه لابد من الذهاب هناك بنفسه ليرى كل
شيء ، ويتفقد الجو ...

-6-

مويم إست بروبوسيتام

إن تاليرنا موري

أوت سنت فينا

بروكسيما موريتنس أوري

من قمرة القيادة دوت صرخة عالية ...

توقعت سماع طلقة لكن هذا لم يحدث لحسن الحظ ..
لو انطلقت رصاصة فليسوف يحدث ما لا تحمد عقباه للطائرة
أو هذا ما اعتقده .. إن تحطيم نافذة سوف يؤدي بلا شك إلى
تفريغ الضغط كله في ثوان ...

قال (جيسون) في رعب :

« ماذا يحدث هنا ؟ »

نظرت له في غيظ بما معناه (صح النوم) .. وكان قد استعاد
لكنته الاسكتلندية تماما فصار كلامه مستحيل الفهم فعلا ...

تصاعدت صرخات كثيرة ، وهي ظاهرة مسئلة سوف تتكرر
كثيرا . كل صرخة تلوها عشرات من صرخات الركاب .. ظللت

جالسًا أنظر ليدى فى قلق وسمعت عددًا لا بأس منه من العرب يتلو آيات القُرآن .. لا تنس أن الطائرة قامت من القاهرة وعليها مصريون كثيرون ..

بعد اثنتين ظهر ذلك الأخ الذى يبدو كضابط نازى ، والذى سنسميه (هانز) .. لماذا (هانز) ؟ ... لأنه يبدو (هانز) فعلاً ولأن هذا (فريتز) أول اسمين ألمانيين يخطران بذهنى ..

ظهر على باب قمرة القيادة وكان يشهر مسنماً فاخر الشكل .. صاح وهو يوجه كلامه للجميع :
« طبيب ! .. نريد طبيباً ! »

هذه هى المشكلة .. سوف أجد نفسى متورطاً معهم قريباً منهم أكثر من اللازم وهذا ما لا أريده .. عندما انفجر غضبهم سيقتلون أول شخص وهو الطبيب . عندما تسوء الأمر انفجر معهم .. لحظة اقتحام الطائرة سوف ألتقى الرصاصه الاولى من القوات الخاصة ، وسوف تكرمنى نقابة الأطباء بأن تعلق صورتي فى دورة المياه .. لذا فضلت الصمت على أمل أن يتبين وجود طبيب آخر ..

« طبيب .. هل تسمعون ؟ »

نظرت لمن حولي .. يمكن أن أؤكد أنهم جميعاً أطباء .. هذه أول طائرة تنج بالأطباء فى التاريخ .. لكنهم جميعاً يفكرون مثلى .. الجبناء !! .. الكذبةون !

فى تردد رفعت يدى اليمنى فصاح الرجل فى خشونة :
« ماذا تنتظر ؟ ... هه ..؟ تعركه ! »

نهضت فى تلك متجهاً لمقمة الطائرة .. أعرف ما سوف يحدث .. سوف يرينى جنة الطيار التى نسفوا رأسها ، ثم يلأمرنى بأن أعيده للحياة فإن لم أفعل فجر رأسى بدورى .. عندما يغضب أو يقلق سوف يقتلنى ليريح أعصابه .. هذه أمور مفهومة ..

قال لى ولنا اقتررب منه :
« جواز سفره !! »

نولته جواز سفر الأخضر فى تردد .. هذا فضول لا أحبه .. لكنى خمنت طريقة تفكيره .. هو من (بادر ماينوف) .. إذن هو سيقتل أى أمريكى هنا .. ليست لديهم أسياح لقتل مصرى مثلى .. دخلت القمرة فكان الوضع أسوأ مما توقعت ..

دائماً ما يكون هناك فى هذه المواقف شخصان عصبيان : الأول من الزهائن .. وهو يتهور ويحاول لعب دور البطل ،

— « هذا الفتى ميت .. »

هتف (هانز) فى عصبية وهو يركل الأرض بقدمه :

— « افعل شيئاً .. أنت طبيب !! »

— « قلت لك إنه ميت »

كنت أستهي أن أقول له تعليقاً جديراً بى مثل (أنا طبيب ولست من سحرة الفودوو) أو (نسوا أن يعلمونى إصلاح الرعوس المهشمة فى الكنيسة) . لكن لا احد يجد الشجاعة أو الذهن الصافى ليقول كلاماً كهذا بينما مسدس مصوبان لرأسه طبعاً .. دع هذه القدرات للأخ (جيمس بوند) ... كنت أمقت يوماً تلك القصص التى لا يكف البطل فيها عن الكلام بثقة وسخرية بينما رصاص المافيا ينطلق نحوه ..

دعك من أن هؤلاء القوم لا يمزحون . إن رجال (بادر ماينوف) عصبيو المزاج شرسون فعلاً .

— « وهذا ؟ »

ركعت جوار الرجل الأكبر سناً الذى ينزف من أنفه ، وتحسست تبيضه وحرقته ، ثم قلت :

ويكون هناك شخص عصبي آخر من القراصنة .. هذا يفقد أعصابه ويبتدى على الأول .. ودائماً ما يكون هناك شخص أكثر تعقلاً بلومه : لا تنهوي (جون) .. إنه مسلح . لا تقتله يا (هانز) .. إنه غير مسلح ..

النتيجة هى اسى دخلت لاجد مصيعة لم ارها من قبل تصرخ وهى راكعة على الأرض . بينما هى تريح على فخذيها رأساً مهشماً لمن يبدو أنه طيار .. لقد تلقى صربة قوية جداً بمقبض المسدس على رأسه صربة أقوى من اللازم .. وكان هناك شخص آخر يلبس كالطيارين وقد استند إلى الجدار وراح ينزف بغزارة من أنفه ...

فحصت الشاب الذى يرفق على الأرض فأدركت أنه ميت . لا يوجد نبض ...

أما هذا الذى يستند إلى الجدار فمن الواضح أنه تلقى ما هو أكثر من ضربة فى أنفه ..

نسيت أن أقول إن هناك طياراً ثالثاً شاباً مذعوراً يثبت سماعات إلى رأسه . ويمسك بالميكروفون ويبدو أنه قلق جداً . إنهم جميعاً أمريكيون ...

قلت للأخ (مولر) الذى كان يجلس خلفى فى الطائرة ، والذى قدرت أنه قابل للكلام معه :

« يبدو لي أنه يمر بظور (ما بعد الارتجاج) ، لكنه
سيعيش على ما اعتقد .. »

هنا سأنتي (مولر) في هدوء نسبي :

« هل سيكون قادراً على قيادة الطائرة ؟ »

فهمت !

هذان المخبولان قتلوا الطيار المساعد وكادا يقتلان الطيار نفسه ..
ومن الواضح أن الثالث ليس طياراً بل هو مطرب روك أو سباك
أو منظف مداخن .. يبدو أن كل ما يجيده هو الاتصال .. وقد
سمعت بعض ما يقول ففهمت أنه ينقل صورة كاملة عن الوضع
للأرض ... لقد أمروه بذلك ..

كل هذا جميل جداً ..

-7-

توئك ككتابونث ليتيوس

أنجيلورام كوري

نوس سيت بروبيتوس

ويك بونتوري

فيما عدا ما تم إتلافه ، يعرف الدارسون أن (الكارمينا بوراتا)
موجودة في ميونيخ اليوم ..

كان الجوليارد مصدر صداع للسلطات الكنسية .. فقد كانوا
عابثين شديدي المجون . وكانت لديهم العابهم السخيفة مثل لعبة
الرنجة .. عندما بجر كل منهم سمكة رنجة بخيط ويركض وسط
موكب من زملائه محاولاً أن يدوس أسماك رفاقه ويحمي سمكته ،
وكان هناك موكب الجحش الذي يلبسونه ثياباً سخيفة مزخرفة
ويحييه كل من يمر به ..

هكذا اشتكت الكنيسة من أن هؤلاء الجوليارد يرقصون لابسين
كالنساء ، وياكلون اليودنج الأسود في المحراب ذاته ، ويلعبون
الترد ، ويضايقون المارة .. لكن ما كتوا يفتونه ليلا كان أسوأ ..

لم يبق شيء من هؤلاء الفتية سوى أشعارهم .. وهذه الأشعار كانت خطرة كما يبدو ..

لقد قام أحدهم بجمع المخطوطات المبعثرة في مجلد يدعى (كودكس بوراثوس) . وهذا أدى إلى بعض الخلط في النص وترتيب الصفحات على الغلاف ترى رسماً لعجلة الحظ بابياتها التي تكلمنا عنها ..

ترى هل ولد النص في (بنديكتوبيرن) فعلا حيث وجد ؟

هذا غير مؤكد . فقط هناك يقين أنه كتب في بلد يتكلم الألمانية البافارية .. ولربما جنوب إيطاليا كذلك . ويقال إن النص بلغ دير (بنديكتوبيرن) عام 1350 عن طريق امرأة تدعى (فيتزيلخر) ..

طبعاً هناك أجراء كثيرة ناقصة لا يعرف أحد ما احتوته بالصلب ..

وكان أول لقاء لكارل أورف مع المجموعة هو قرأه لكتاب (جون أدنجتون سايموند) عنها .. الكتاب صدر عام 1884 واسمه (خمر ونساء وغناء) . وهكذا بدأ البحث المدقق في هذا الموضوع بمعونة شاب اسمه (مايكل هوفمان) . ويقول البعض إنه اعتمد بالكامل على الشروح الموسيقية المصاحبة للأشعار . بينما يرى البعض أنه ألف الأبحان من الصفر ..

عرفنا ما حدث بالضبط .. لقد قدمت (كارمينا بورانا) - أو ما سمح (أورف) بتقديمه - على أوبرا فرانكفورت عام 1937 . وطبعاً كان نجاحها ساحقاً مدوياً . ما زال صدى التصفيق مستمراً حتى اليوم ، ولا يجادل فيه أحد . حتى مع تهمة النازية التي لاحقت المؤلف ، فقد كانت روعة المقطوعة أقوى من أن تقتلها الاتهامات ..

لكن ما الذي عرفه (أورف) وأخفاه طيلة حياته . وما الذي عرضه على النازيين قرفضوا لخطورة الفكرة ؟

(جيسون) اقترب جداً من السر .. لكن الأوراق ضاعت ومن الواضح أنه لن يستمر أكثر ..

حتى لو لم تكن الأوراق قد ضاعت ، فعليه أن يقرر من اختطف طائرة يهدد جميع من فيها .

- « هل أنت بخير ؟ . متأكد من ذلك ؟ »

هز الطيار رأسه ولفظ على أنفه بالمندبل .. كان يتأرجح كأنه ثمل ، وقد قدرت أنه ليس على ما يرام بتاتاً .. من الصعب تخيل أن ينفذ تعليمات برج المراقبة وينزل العجلات . ويتخير

ممرًا .. ستكون هذه معجزة .. المعجزة الأخرى هي أن نجد شخصًا يحل محله ..

هذه المرة لم استطع كتمان رأيي أكثر فقلت في غيظ :

« ألا تجدونها فكرة عجيبة أن تحاولوا قتل الطيارين ونحن في الجو ؟ »

قال (مولر) الذي قدرت أنه أهدأ وأكثر تعقلًا :

« من المفترض أن يفهما هذا منذ البداية . لا أحد يلعب أدوار الإبطال معنا .. هم المتسببان في هذا الوضع .. »

كان الطيار على مقعده الآن يحاول استعادة ما فاتته .. يتفقد العدادات والمؤشرات ، لكنى قدرت أنه تقريبًا لا يرى أى شيء .. كل شيء مزدوج ...

أما عن زميله الشاب فقد أخرجت مندبلي وفردته على وجهه المهشم ، ثم جررته بمعونة المضيفة المولولة إلى ركن القمرة ..

« هل نخرجه من هنا ؟ »

قال (مولر) في لهجة أمرة :

« لا .. سيعم الذعر بين الركاب لو رأوا جنسًا .. »

ثم نظر إلى ضابط الاتصالات الشاب المذعور وعاد بهأله :

« هل فليقتهم ؟ »

« نعم .. كل شيء .. يريدون الكلام معك .. »

مد (مولر) يده وتناول الميكروفون ووضع فردة من السماعة على أذنه وأصغى قليلًا ثم قال :

« اسمع .. لا وقت عندي لهذا الهراء .. نحن من عصبة الجيش الأحمر .. ما نطلبه هو طرف مخول بالمفاوضة من الحكومة الألمانية الفيدرالية يكون بانتظارنا في المطار .. إن لدينا قائمة مطالب سوف نعرفونها عندما تهبط الطائرة .. الركاب ؟ كلهم بخير لكن لا أضمن سلامتهم بعد ذلك ، في حالة المماطلة أو محاولة التلاعب بنا .. نحن مسلحون ومعنا قنابل تكفي لتفجير الطائرة .. »

ثم أغلق الجهاز ونظر لنا نظرة نارية ..

قال لى وهو يضع يديه في جيبه :

« والان يا دكتور يمكنك الخروج لكن لنبق قريبًا من هنا .. قد نحتاج لك ثانية .. »

« بالتأكيد .. »

وخرجت من القمرة بينما كل الطائرة تنتظر لى في فضول ..

أيام الحرب الأهلية - وكان هذا زمنها - عندما كانت الميليشيات تستوقف الحافلات .. يتم فحص بطاقات الهوية .. ويتم إنزال من يريدون حيث يقتلوه على قارعة الطريق. السؤال هنا هو : هل سيقتلون المسلمين أم المسيحيين ؟ .. أنت لا تعرف .. حتى اللحظة الأخيرة لا تعرف إن كنت أنت الشخص الخطأ في المكان الخطأ في الزمن الخطأ أم لا .. فقط عندما تتحرك الحافلة مبتعدة عن المنبحة تعرف شيئا واحداً : هم لم يكونوا يريدون دينك أنت !
فعلاً شيء مرعب

الطفلة التي رأيتها من قبل تمشي بين المقاعد بتلك الطريقة الغامضة . وشعرها الأسود يغطي نصف وجهها .. فيما بعد عرفت أن الشعر الأسود الطويل الذي يغطي نصف الوجه والثوب الأبيض أيقونتان مهمتان في الرعب الياباني .. فعلاً معهم حق .. هؤلاء اليابانيون عابرة ..

بالفعل أثار منظره الارتباك .. وهتف أحد القراصنة . وهو الذي اصطلحت على تسميته (ماير) وهو يرفع فوهة مسدسه :

« من والد هذه الطفلة ؟ .. مرها بالابتعاد ! »

لكن أحداً لم يرد ..

اتجهت لمقعد قريب من القمرة وجلست .. هنا سمعت ذلك الأخ (بيتر) كث الضارب طويل الشعر ، يصيح وهو يلوح بمسدسه :
- « الأمريكان على اليمين .. الأمريكان على اليمين ! ..
باقى الجنمبات على اليسار ! »

نهض أمريكي متردداً فاستوقفه وطلب جواز سفره .. ألقي عليه نظرة ثم سمح له بالمرور ..

هذا ما توقعته فعلاً .. يفصلون الأمريكان تمهيداً ليكونوا أول الضحايا .. باعتبارهم رمز الرسمالية الشيطانية التي تحرك العالم ..

وهكذا نهض عدد لا بأس به من القوم بينهم نساء وأطفال يكونوا واتخذوا مقاعدهم كما طلب الرجل . وبالطبع فحص جوازات سفرهم جميعاً ... خطر لى أنه أحمق . فلا أحد سيزعم أنه أمريكي ، بل سيزعم البعض أنه غير أمريكي .. الأجدر أن يتفقد جوازات سفر الجالسرين على اليسار ..

على كل حال نحن لا نعرف خططهم يقيناً .. ربما يعدمون غير الأمريكيين ويبقون الأمريكيين للتفاوض ؟ .. محيرة ومخيفة فعلاً هذه المواقف ، كما كان يحدث في لجان الإعدام بالهوية في لبنان

مد يده بلمس كتفها بغلظة فلم تنظر له وواصلت العشى ..
عاد يكرر الصباح فى انفلات أعصاب :

« من والد هذه الصغيرة ؟ »

لم يرد أحد .. إِم أنه لا أب لها وإِم أن أباهم بخشى طفلة فى
الرأس .. هكذا مد (ماير) يده وأطبق على نراعها بغلظة ،
فصحت قبه :

« دعها !.. إنها غالب تمشى أثناء النوم أو شيء من هذا
القبيل .. هل تعتقد أن هذه الطفلة تشكل خطراً حقيقياً مرعباً على
أربعة رجال مسلحين ؟ »

نظر لى فى غباء فقلت :

« إذن دعها معى .. »

طبعاً عندما يكون حجم الضحية وسنها صغيرين بصير من
السخف أن تصر على عدوانيتك .. حتى القراصنة لن يؤذوا طفلة
بهذا الحجم ، وحتى القراصنة يخلون من أنفسهم ..

جذبت الطفلة بشيء من العنف وأجلستها جوارى ..

غريبة .. هذا واضح .. جميلة جداً كذلك .. لكنها لا تنظر لى
على الإطلاق برغم أن عينها مفتوحة .. العين الوحيدة التى
لا يدور بها الشعر ..

مددت يدى وأزحمت الشعر عن العين الأخرى ،
وليتنى ما فعلت !

-8-

سمير كريسيس ..

أوت دكريسيس

فينا ديستابليس ..

* * *

من جديد هذا الصوت يتعالى ..

من جديد الشيء يتحرك ..

تحسس (محمود السمذوني) ما تحت إبطه حيث ثبت الشريط
اللاصق .. ماذا يمكن أن يوجد في هذه اللعبة ؟ .. يمكنه أن يجن فعلا ..
الخرفشة . الحكة .. الخرفشة . الحفيف .. كلها مشاعر تثير
الغبط ، وهو برغم قسوة حياته كان حساسا شديد العصبية .

رأى هؤلاء (الخواجات) يهددون الناس ويخطفون الطائفة ..
فهم هذا بصعوبة لأنهم تكلموا بالإنجليزية ، وهو لا يفهم
إلا القليل منها .. فرنسيته ويونانيته افصل ..

كان هذا مزعجا .. سوف يؤخر عملية التسليم والحصول على
المال .. كان يعرف يقينا أنه سينجو .. لو مات الجميع لنجا هو .

لانه رأى الاسوأ ومر بكل موقف عسير يمكنك تخيله .. لكن
المشكلة هي التأخير ..

استقل الأمريكيون للجانب الأيمن ، فظل حيث هو .. وقد راهن
على أن جاريته أمريكية لكنها تتظاهر بالغباء ..

كانت هذه مشكلته الوحيدة حتى عاد الشيء يتحرك ..

راح ينشئ على نفسه ويتلوى محاولا أن يسكته .. السيدة
المرحبة المسنة المحترمة جدا الجالسة بجواره راحت ترمقه في
شك وتقرّر . لابد أنها اعتقدته منحرفا بشكل ما ..

في النهاية لم يعد يتحمل أكثر ..

في اللعبة شيء حي ، وهذا الشيء يحاول التملص وعلى
الأرجح سينجح .. عندها ؟

عدهم سيجرى شيء حشفي له أقدام مخيلية على لحمه .. لن
يستطيع الفرار من ثم سوف يزحف على ظهره وينزلق في سرابيله ..
فكرة مرعبة جدًا .. إنه يقشعر بالفعل .

ولماذا تذكر النعنع أنه حي ؟ هل هو جائع ؟ .. هذا يزيد تعقيد
الأمر ..

راح يعتمر ذاكرته . فتذكر أن بعض مربىي الحيوانات يحاولون تهريب قط عزيز أو كلب محبوب معهم في الطائرة .. لكن الاحتمال مستبعد لأن حجم العلب لا يتسع لهذا ، دك من أن من يهرب قطاً لا يدفع كل هذا المال ...

هناك كذلك قصة أخرى عن الدين بهربون حيواناً ثميناً نلراً .. ربما الأمر كذلك ؟ .. هناك قواتين لحماية الأنواع وهناك حجر صحنى و ... و ... ربما كان (كامل) يحاول تهريب عينة ثمينة من مصر للولايات المتحدة ، لكن أية حيوانات نادرة في مصر ؟ .. ثعبان (الطريشة) ؟ .. لا يوجد شيء آخر على قدر علمه ..

فأر محمل ببرايث الطاعون ؟ . لم يكن متفقاً لكنه سمع هذه القصة في مصر .. وسمع أن فئران السفن كانت تنقل الطاعون لغارات كاملة في الماضي . وسط حرب الإشاعات كانت هناك إشاعة قوية عن قيام إسرائيل بتهريب فئران تحمل براغيث الطاعون عبر حدودنا الشرقية .. هل هذا هو الجواب هنا ؟ ربما هناك من يريد بدء حرب بيولوجية في أمريكا ؟

لو كسان كذلك فهي كارثة ، لأن البرايث لن تبقى في العلب طويلاً .. لا البرايث ولا الفأر ..

راح يهرش في عدة مواضع من جمده وهو يردد :

« الله يخرّب بيتك يا كامل 1.. »

نظرت له السيدة الوقور في تعال ، ثم أخرجت إيجيلاً من حقيبتها وراحت تقرأ وهي تردد كلاماً غير مفهوم ..

في البداية خطف طائرة .. ثم جاز مقعد منحرف .. والآن يبدو أنه أجرب كذلك .. فليرحمنا الرب .. فليرحمنا الرب ..

في النهاية لم يتحمل محمود أكثر ، فنهض وغادر مقعده ..

هنا رأى نفسه أمام فوهة المدس والعينين القاسيتين لمن أسميه (بيتر) .. الفتى طويل الشعر ذا الشارب الكث .. نموذج الفتى الومسيح الأبق في ذلك العصر ، بشعره الناعم الأسود المنسدل على الكتفين ، والشارب الطويل المتدلى على جانيه الفم . والينطال (الشارستون) المتسع من أسفل . والسترة الجندية اللامعة ...

« عد لمقعديك .. »

قاله بالإنجليزية ، فصاح (محمود) الذي لم يفهم الكلام وفهم الإشارة :

« ساموت يا خولجة .. أنا محصور .. »

قالها بالعربية فجاء الرد بالإنجليزية :

« إلزم مقعدك .. »

وأتابع هذا بأن لوى ذراعه بحركة محترقة . ثم هوى بمؤخرة
المسدس على رأسه فسقط على مقعده وهو يعوى ألم ..

« الله يخرّب بيتك يا كامل .. ! »

ثم رفع عينه ليرى القرصان ينتظر رد فعله . وقد صوب
المسدس إلى رأسه . فقال بالعربية وهو يتحسس موضع الضربة :

« انتهى لقد بللت نفسي .. أنتم المسؤولون عن ذلك ! »

تجاهله القرصان ، ونظر للسيدة الوقور وقال فى حدة :

« جواز سفرك .. »

مدت يدها وسولته الجواز . فقرأ الصفحة الاولى ثم اشار الى
الصف الايمن لتجلس فيه . فأغلقت إنجيلها ونهضت بذات
الكبرياء .. يسهل على كل من رأى فيلما أمريكياً ان يعرف انها
زنجية أمريكية .. لن تخدع أحداً .. لكنها على كل حال شعرت
بسرور لخلاصها من محمود هذا فقد أثار ريبتها بحركاته الكثيرة
وهرشه الذى لا يتوقف ..

ما إن زال الألم عن رأس محمود حتى عاد الشيء يتحرك ..

هنا قرر أنه غالباً سيحاول فك الشريط اللاصق وهو جالس ..
لن يتحمل أكثر ..

-9-

سمير كريسمين ..

أوت دكريسيس

فيثا ديتسابلين ..

أطلقت شهقة لبشاعة ما رأيت ، وأدبرت وجهي للنافذة ..

هنا سمعت صوتاً أنشويًا رخيماً يقول لى بالعربية :

« هل هو عيب خلقي ؟ »

رفعت عيني لأجد تلك السيدة الفتاة التى لم أر أجمل منها فى
حياتى . كان وجهها مألوف كما قلت لك .. لكنى أجلت التعارف لما
بعد . وفلت وان اسدل الشعر على عين الفتاة .

« .. غالباً هو حادث .. تجويف العين فارغ تماماً فلا توجد
سوى هذه الفجوة الدامية .. »

ثم ابتلعت كلامي .. كنا ننسى أنفسنا ونحن طلبة طب فننتكلم
بالعربية امام المريض . وكنا نقول كلاماً مثل (حالة معقدة فعلاً) ..
(اسوأ اسمداد معوى رأيته فى حياتى) .. الخ .. ثم نتذكر
فتخجل من آت تعاملنا مع المريض كشيء ..

الطفلة قد تفهم العربية .. ولربما كانت غير صماء . فليس من اللائق أن نتكلم عنها بحرية ..

لكنى بالفعل رأيت مشهدا بشقا .. ولا عجب أن أمها جعلت الشعر ينسدل بهذه الطريقة . لكن ألم يفكر أبواها في وضع عين زجاجية قط ؟

جلست السيدة الفاتنة جوارى ووصعت الطفلة على حجرها ، ثم مدت يدها مصافحة بطريقة عذبية تدل على امرأة واثقة من نفسها ، وقالت :

— « فائق الشرفاوى . مدرس جامعى ومعدة بالبرنامج الثانى .. »

— « رفعت إسماعيل أستاذ جامعى وكان لى برنامج فى المذيع تم وقفه . »

هنا اتمعت عيناها كأنها تتذكر :

— « ذلك البرنامج الذى أوقفوه * »

— « أنا قلت ذلك .. »

لم تطق وأدركت على الفور أنها تراءد سخيفا ، لكنى تذكرتها على الفور .. إنها شهيرة جدًا فى الأوساط الثقافية القاهرية .

وتكتب فى كل شيء تقريبا فى عدة مجلات .. لو سمحت لى بهذا التعبير العامى لقلت إنها (فلحوسة) .. لا يمكن أن تقول لها (صباح الخير) من دون أن تلقى خطبة عصماء تطالب فيها بأن نكون أنفسنا ولا نمشى على خطوات الغرب .. لماذا لا نقول ما هو جدير بترائنا مثل (عمت صباحا) .. فإذا ذكرتها بأن هذه تحية الجاهلية الأولى ، بدأت نتكلم عن الانغلاق العقلى الذى يحصر التدبىر فى كلمات . وهكذا . لن نخرس أبدا . كل كلمة هى موضوع ندوة ثقافية محتملة .

على كل حال كانت جميلة جدًا .. وهذا يقفر لها الكثير لدى النقاد . سيما يذبحون بأفلامهم أى رجل مثلها أو أكثر موهبة منها . ساء كثيرات يعتقدن أن ما يلعبه من مكانة يعود لعقلهن الراح . والحقيقة أن هذا يعود لسبب فسبولوجى بسيط جدًا : جمانهن . كان رواد الفكر فى مصر يجتمعون عند (مى ريادة) ويتناقشون معب كأنهم تد لهم . وكانت نمازهم وتبسط معهم وعندما تتكلم بصمتون ويصمون . فهل كان السبب الوحيد عقلها وموهبتها .. كان السبب هو جمالها الصارخ ، ويبدو أنهم جميعا وقعوا فى حبها . حتى طه حسين نفسه وقع فى حب صوتها .. لكن ما من امرأة تعترف بهذا .. السبب الوحيد هو تكلمتى وكفافتى ..

أخرجتني من هذه الخوطة يسؤال ثان .

« لماذا استدعوك لقمرة القيادة ؟ »

« حاول طير لعب دور لبطل هكذا سقط ميتا والاخر في حال خطرة .. »

اتسعت عيناها رعبا وهتفت :

« إذن من يفقد الطائرة الآن ؟ »

« نصف طير لو اردت ندفة نو مات او فقد النوع لانتهى امرنا .. »

قطبت جبينها وفكرت :

« لكن .. هذا خطير .. »

« أحب استنتاجاتك الدقيقة .. »

نظرت في ساعتها وقالت :

« بقيت ساعتان . يمكن ان نمرا على خير . »

« المشكلة وأعقد جزء هي الهبوط . هذا هو التحدي الحقيقي . »

« من هؤلاء ؟ »

شرحت لها تصوري عن المجموعة .. كانت تعرف (سحر ميناوف) طبع فهم أبناء ذلك العصر والصحف لا تخلو من حر عهد سالتني عن سبب دهابي للولايات فحكيت لها . وسألته عن السبب فحكى لي انه لا يوجد سبب . قالتها وهي مسح على شعر الطفلة الجالسة على حجرها .. طفلة مسالمة سنية تماما كانها دمية . دمية بعين واحدة ..

برعم كسل شيء شعرت بسرور وراحة .. المنظر الطبيعي لمطفلة هو ان يجلسوا على حجر مرأه .. الأطفال مقتنيات أنثوية جدا ويمكنك الاطمئن عليهم مع الانثى .. اما مع الرجال فأتت قلق دائما تظهر بانهم سيموتون او يصيغون أو يرحلون انفسهم .

سألته في فضول :

« عندما غنى حارى الاسكندري تلك المقطوعة .. قلت إنك سمعتها .. ما سر هذا الفضول ؟ »

تهبت وراحت تحكى لي قصتها بالتفصيل قصة اللحن وشريط الكاسيت ود سامي والبرامج . الح . انت سمعت كل هذا لذا دعني أسمع أنا ولا تصغ معي ..

سألتهما :

« وهل تذكرين ذلك اللحن ؟ »

راحت تحاول التفكير .. لها طريقة ساحرة عندما نفكر لابد
أنها تطلب لب الجميع سوى .. تنتظر لأعلى ونضم شفتيها على
شكل حرف O احمر دقيق .. ثم بدأت تصدر نغمة مكسورة ..
هنا صدرت النغمة محكمة ومتقنة فعلاً ..

لم تكن منها ..

كانت صادرة من الطفلة التي حجرها ، والتي راحت تدندن
الحن بصوت جميل رخم . كانت نغمة تتكلم !!

-10-

توئك أوبدورات

! توئك كيورات

لودو منتيس آسييم

بعد قليل فوجئت بعدد من الركاب يترك مقعده ويلتفت من
حولنا ..

رفعت راسي في ذهول لأحد خمسة .. ستة سبعة ركاب يقلون
حولنا ويصفون في اهتمام .. وصاح ذلك القرصان (بيتر)
وهو بلوح بمسندته :

« هل جئتم ؟ .. ليعد كل لمقعده ! »

وهرع ليفرق الواقفين .. لكنني لاحظت أنه ليس جاداً في
التهديد . بل هو أيضاً يريد أن يصفى . بالفعل وقف وسط
الواقفين وأطرق برأسه وراح يصفى ..

للحظة ساد جو من الحميمية .. الجميع سواء حتى القراصنة
والرهبان .. كلهم مر بتجربة ما مع هذا الحن ..

الطفلة على حصر (فائن) مستمرة في التذنب . ما زالت متصلة به شبه نامية لكن صوته أقوى عال جد ..

ومن مكان ما جاء (جيسون) يترج ووقف يصغي بدوره وقد عرف النحر سريع وبدا يلاحقه بصوته الغليظ المنقطع ...

صاح القرصس الثاني الذي اظلم عليه اسم (ماير) في جنون

— « هذا اخر انداركم . ليعد كل لمقعه »

لكنه قبول بلا مسالة نامه كانه يكلم نفسه . وللحظة تصلب هو الآخر ..

هنا صحت بأعلى صوتي بالإنجليزية :

— « إن الامر غريب . هل جميعكم سمع هذه الاغنية »

هنا تعالت الاصوات أن نعم كل واحد يحكى قصته الخاصة مع هذا الملح انا اعرف قصه (فائن) ومن الواضح اننى عرف قصة (جيسون) لكن الغريب ان يكون ذات القصة مرت بالخاطفين كذلك .. ومن هذه الطفلة ؟

كان الامر قد انتهى على كل حال ، فصاح (بيتر) من جديد :

— « أكرر .. ليعد الكل لمقعه .. »

لكنه كان مهروزا بالطبع .. كل واحد كان يفكر في هذه المصادفة العجيبة . لكنى أنوى عمل قاعدة منطقية جديدة تفضى بأن سبع مصادفات تعنى ان الامر ليس مصادفة

كان (ماير) من الطراز الغبي المدفع . لذا كان اول من لجأ الى الفعل . فأمسك براكب عربى الملامح والقدر على الارض . وقبل أن تظهم كان يوسعه ركلا وهو يردد :

— « قلت لك ان تعود .. هه .. قلت لك ان تعود لمقعدك »

نهضت لاساعد الرجل المصعب على النهوض وقلت لـ (ماير) بصوت مبحوح لا يخلو من الخوف :

— « كف عن هذه الألعاب السخيفة . لو كنت انت الاقوى فعلا فلن تتسنى بصرب أشدصر لا حول لهم ولا قوة . أنت تعرف وزميك يعرف ان هناك شئ عامص يحدث هنا شئ أقوى منا جميعا .. »

أمسك بتلابيبى واعتقد انه كان موشكا على صربى . لولا ان صاح (بيتر) :

— « دعه .. إنه محق .. »

ثم دس مسدسه في حزامه وابتعد بينم تفرق الواقفون ..

كنت راكبا جوار الرجل الذى تلقى عدة ضربات .. كان من الواضح انه مصرى .. رجل وقور له شارب كث وعوينات .. منظر الموظف التقليدى فى الستينات . قمة المجتمع وقتها ..

ساعدته على الجلوس على أحد المقاعد ، وقلت له :

« أرجو ان تتسامح مع وقاحتهم . ليس من الواجب على خاطفى الطائرات ان يكونوا مهذبين وملائكة .. »

تحسست ضلوعه التى لايد أن بعضها نهشم ، وقال :

« عندما سمعت بك اللحن لم أعد أعرف ما أقوله . لقد سمعته فى القاهرة وخلق لبى .. عندما سمعت من يترنم به فى الطائرة طار صوابى ولا أعرف متى نهضت برغم الخطر .. »

بحثت فى جيوبى حتى أخرجت بعض أقراص مضاد الاسهابت ، وناولته قرصا وقلت مطمئنا له بلطفى المعهود .

« أعتقد أنه كسر ضلعين أو أكثر .. لا مشكلة هنالك سوى الألم ما لم يخترق الضلع المهشم رنتك لتتزف وربما تموت .. »

« شكراً .. »

قالها وابتلع القرص بلا ماء ، ثم أردف وهو يلهث :

« هذا الشريط عاد به ابنى من الكلية .. وجدته فوق سيارته وقرر أن يسمعه . لكننى سمعته أولا لأننى خشيت ان تكون من تلك الاغاني التى . اى .. أنت تعرف الأغاني على غرار (الطشت قال لى) وهذا الهراء .. سمعت الشريط وانبهرت به ، وفى اليوم التالى قررت أن أسافر إلى الولايات المتحدة لأبحث عن بعض المراجع فى رسالة المجستير التى أعدها . أنا مهندس .. »

كررت كلامه ببطء شديد :

« تتكلم كان هذه نتيجة منطقية .. أنت سمعت الشريط ثم قررت ان تذهب للولايات المتحدة . ما هى العلاقة ؟ .. هل شرائط الكاسيت تغرى بزيارة الولايات المتحدة ؟ »

« لا علاقة لكن هذا ما حدث فعلا .. آى !.. فجأة شعرت بأننى يجب أن الحق بهذه الطائرة .. »

عدت أفكر من جديد ثم سألته :

« هذه الرحلة بالذات ؟؟ ربما كانت أية رحلة تصلح .. »

« لا .. كنت أعرف رقم الرحلة وموعدها والشركة .. »

لا أعرف السبب .. »

وأراح رأسه للخلف وراح يتنفس بالكثير من العصر .. نهضت من جواره ومشيت في ممر الطائرة ..

إن للطبيب مزية مهمة هي أنهم يتركونه يتحرك .. كانت الحرب الأهلية مستعرة في لبنان وقتها والشوارع خطرة على الجميع . لكن الأطباء كانوا يمشون بالمعطف والسماعة . وكانت الملبسيات المتحاربة تتركهم يمرون . بل وتمنحهم حمايتهم .

لهذا السبب لم اتلق طليقة في رأسي ولم يضربني أحد عليه .

اتجهت إلى (جيسون) الذي جئس يحاول أن يركز في ذلك الكتاب الذي كان يحمله . جلست جواره وسألته .

— « أنت خير من يعرف ما يحدث هنا .. معظم ركاب هذه الطائرة سمعوا هذا اللحن بشكل م . وهكذا شعروا برغبة قوية في ركوب هذه الطائرة بالذات .. لم يحدث هذا معي . بل ان الشخص الوحيد الذي ركب هذه الطائرة بكامل ارادته الحرة . أنت لا تعرفني لهذا لن أشرح لك السبب . لكن معارفي يقولون إنني نحس نوعاً .. »

قال في عناد :

— « لا أحد يعرف هذا اللحن سوى .. »

— « أنت تترك الآن أن هذا غير صحيح .. معظم راكبي الطائرة سمعوا ولم ينسوا بسهولة ... حتى القراصنة أنفسهم سمعوا من قبل .. هذا اللحن كان أقرب إلى مزمار التراويح الذي يجمع الغم .. والأغنام قد ركبت الطائرة .. هل تعرف ما افكر فيه ؟ ... نحن في طائرة بلا طيار تقرب يسيطر عليها أربعة سفاحين .. احتمالات هلاك عالية جداً .. نفس ما حدث لضحايا المصعد الذين وجدوا أنفسهم مسوقين لركوبه قبل أن يسقط .. نفس ما حدث لصديق المضيفة الذي قرر فجأة ان يجرى جراحة لا داعي لها لموت فيها .. »

هنا ضاقت عينا (جيسون) وهمس :

— « أندرو .. رحلة بحرية على يخت .. بلا مبرر .. »

لم أكن اعرف (أندرو) هذا ولم يكن هو بالطبع يعرف قصة صديق المضيفة . توازن الجهل المحبب . لابد أن هناك قصة مثيرة تتعلق به لكن ليس الوقت وقتها .. هكذا واصلت كلامي :

— « هل فهمت ؟ ... معنى هذا أن هذه الطائرة لن تصل لعطار (جي أف كي) أبداً .. لقد ركب كل هؤلاء الطائرة لأنها ستسقط !! »

-1-

إيجستاتيم .

يونستاتيم .

ديزولفيت أوت جلاسيم ..

قال (جيسون) وهو يرتجف :

— « الجولبارد كانوا مسحرة أو على الأقل كان بعضهم كذلك ..
أو على الأقل أيضا كان بعضهم يحضر اجتماعات المسحرة .. »
كان الاعتقاد الشائع فى القرون الوسطى هو أن المسحرة
الأوروبيين يلتقون فوق جبال (هيرنس) التى تقع شمال ألمانيا ..
يقال إن المسحرة كانوا يستعدون لهذه الاجتماعات الرهيبة التى
لم يرها احد وتكلم عندما يسدل الظلام عباءته على المرتفعات
يظهر المسحرة قدامين من كل مكان ..

الاعتقاد الشائع كذلك هو أن الشيطان نفسه كان يحضر هذه
التقاعاات .. لو رأيت غرابا أو قط أسود أو كلب أسود يبدو
كالثديب الشرس . فهو الشيطان على الأرجح ..

الجزء الثالث

المنادوب

إن خيال الفنانين وحيال رجال الكنيسة قد تكفل باستكمال الصورة ..

مثلا كان كل ساحر يجلس والى جوارده شيطان .. يبدأ الحفل بالمادة الكبيرة . وهى - بالطبع - جثث المجرمين الذين شنقوا وقلوب الرضع .. ثم الخمور . الكثير منها .. وطبعاً لابد من شرب اللبن الأزرق . لا يمكن ان يتم هذه الطقوس من دون لبن أزرق . وهو علامة سحرية مهمة جد فى الكتب التى تدرس هذه الامور .. يتزايد المرح وبعم الصخب ..

لكن هناك حقيقة واحدة . بعض الحويليرد كانوا يتون لهذه الاجتماعات ويجلسون وسط هذه الطقوس . ولا عرف كيف كانوا يسمحون لهم بذلك . ربما لان اشعرهم المفعمة بنهرطقة منحتهم جواز مرور وحصانة ..

المشاعل فى كل صوب . وهناك جمالهم نطل للشموع من عيوبها .. هن يبدأ ايقاع مدوخ ساحر على الطبول ، فينهض لكل ليرقص .. طبعاً كانت هناك ساحرات وكن هناك انفلات أخلاقى كامل .. وفى هذا الحو المريض يتبادل السحرة الخبرات .. أى انه كان يشبه أى مؤتمر علمى من مؤتمرات اليوم . لكنه يختلف من حيث درجة الرقى ..

فى هذا الجو عرف الجوليارد كيف ينظمون الشعر . لتكون الكلمات ذات تأثير سحرى شيطانى . هل كان كبير الشعراء بين هؤلاء ؟ .. الحقيقة أن الأشعار عمل مختلط تشعب بين أكثر من مؤلف ، حتى ذاب تماماً .. لا يمكنك وأنت تذوق عصير اليرتقال أن تتكلم عن أن السكر هنا والبرتقال هنا والماء هنا . لكن الجراء الذى اخاف الجميع تميز بموهبته العالية . وحسينته الصارخة ، واستهتاره بكل شىء ..

هذه أشعار لا يكتبها سوى من باع نفسه للشيطان ...

بين الأشعار التى وجدها (جيسون) واستعاد لحنها عن طريق المخطوطات . اعية تقول باللاتينية العتيقة فى مقطعها الأول السهل نمياً :

« عندما تسمع هذه الاعية . شارع لتلحق بالركب

« الركب الذى يعبر نهر ستيكس الآن ..

« الموت الزاحف الذى يفرق العقول فى لجنه ..

« إنه النوم .. النوم الذى لا صحوة منه ..

« واحمرته !.. لسوف تقضى بظلمك الباخوسى

بعد اليوم لن تطأ قدمك الحقة ..

« لكن الرفاق سيفرعون الكنوس في ذكراك »

معظم كلمات الأغنية كان غامضا واستعصى عليه ، لكنه استعلاها كما هي ، واستعلا لحنها . فبه تلك اللحن الذى ننتنه لى ..

الحن الذى سمعه ركاب الطائرة او معظمهم ..

الان يتذكر (جيسور) هذه الكلمات وهذا اللحن .. لقد تعامل مع الأمر بخفة طاعه . ولم ينظر الى الغول الذى يقف خلف كتفيه يضحك مكشراً عن أنيابه ..

لم يستعمل هذه المخطوطات على كل حال . ولم ينشر هذا اللحن . ضاع مع باقى المخطوطات التى اختفت فى ظروف غامضة .. لكن اللحن لم يمس انه عاد للحياة وقرر أن ينظر كذلك قرر أن يتحرر وتكون له حياته الخاصة ...

بشكل ما أرسل طرف ما - نيم بشرياً على الأرجح - مجموعة من الشرائط إلى عدد من الناس .. هكذا تؤكد من أنهم قد سمعوا اللحن ...

« لماذا اختار مصر ؟ »

« لم يختر مصر .. هناك رسائل بلغت أشخاصاً فى الولايات المتحدة وإسكتلندا .. الفكرة هنا أن الطائرة المختارة تقلع من مطار القاهرة .. وصلت الرسالة للركاب .. وللاسف وصلت كذلك لمن سمعوها مع الركاب . من ثم ذهبوا لمصير آخر .. هذا هو تفسيرى للوحيد .. »

« ولماذا هذه الطائرة بالذات ؟ »

« لا أعرف الإجابة . لكن ذات السؤال كان سي طرح مع أية طائرة أخرى . »

الرسالة واضحة .. إنها تدعو الناس للموت .. الناس الذين لا يفهمون حرف مما يقال ، ولا يستطيعون فهم الرسالة ، لكنها قد وصلت وبدأت التأثير .. عليك أن تلحق بالقطار الفلاي . عليك ان تركب هذه الطائرة .. تجرى هذه الجراحة

الرسالة واضحة ووصلت لعدد من الناس : اركبوا هذه الطائرة بالذات .. الرحلة رقم 345 .. لا تتأخروا يا شباب .

الان الطائرة مهددة بأكثر من خطر .. ولا يهمنا ما سيحدث ولا احتمالات السجاة ، فنحن نعرف يقينا أنها ستسقط ..

« بعد اليوم لن تطأ قدمك الحقة ..

« لكن الرفاق سيفرعون الكنوس فى ذكراك .. »

صحيح أنني لا أرتاد الحانات ، وبالتالي لن أشعر بخمارة جمعة
لنمضي من ذلك . لكن لدى سببين للخوف : أولاً لا أريد أن تكون
نهایتى بطينة مخبئة البومة . إن احتراق الطائرة ببطء ونحن
فيها احتمال لا يس به . ثانياً ما ذنب هؤلاء الأبرياء الذين
أعتقد أن عددهم تجاوز المائتين ؟

لا بد من طريقة لمنع هذا .. لابد ...

قلت لـ (جيسون) في عتاد :

« هدد الأعيرة لا تقود الناس لمكان سيلقون بهابتهم فيه .
بل هي تقودهم الى مكان يقتلون فيه »

نظر لي في غباء وقال :

« ما الفارق ؟ »

« فارق كبير .. لا أحد يعلم الغيب ولا أحد يعلم أين ومتى
يموت كل منا . لكن بوسعه أن يقودك إلى كمين ويدير فتلك .
لا يمكنني أن ادعوك إلى ركوب مصعد واتنبا بأنه سيقع .. لكن
بوسعي أن أجعلك تتركب المصعد ثم أقطع الحبال التي ترفعه . »

« وهذا يعني ؟ »

« يعني ان هناك مندوباً شيطانيّ مستولاً عن تدمير هذه
الطائرة .. وهذا المندوب بيننا ' إنه واحد منا ، مهمته التأكد
من أن احداً لن يبحو ' .. يمكني بسهولة ان أراهن على انه ركب
المصعد مع من سقط . شارك في الجراحة لمن مات أثناء
الجراحة .. قاد اليخت لمن لم يعد من رحلته البحرية .. وهو
الآن هنا .. »

« ومن هو ؟ »

« هذا هو السؤال الذي يسوى حياتنا ! »

-2-

سور سالوتيس..

إفيرتوتيس

مبهي نون كونتروليا ..

* * *

نهضت عائدا الى حيث كنت اجلس قرب قمرة القيادة . وحيث تركت تلك الكاتبة راحة الحمال (فائن) والطفلة على حجرها .. كانت هناك فعلا تبادل حديث مع الرجل على الجانب الآخر من الممر : المهندس المصرى الذى كاد يهلك . كانت تثرثر وقد نسيت الظروف المحيطة بها وبدأت تتصرف كن هذه ندوة أخرى ، فباغتتها بالسؤال :

« أين الطفلة ؟ »

نظرت لى فى حيرة وتلفتت حولها :

« ألبيت معك ؟ »

« اذن ما كنت لأسألك .. هذا واضح .. »

تتهددت ورحت أنظر من حولي ..

واحد من هؤلاء الجالسين ليس كما يبدو .. أعرف هذا يقينا ..

لا يوجد منطق آخر .. لكن من هو ؟ ..

قد يبدو السؤال سخيفاً نوعاً ، بينما هناك أربعة رجال مسلحين يسيطرون على الطائرة الان .. لكن قلبي يحدثنى أنهم مثلنا تماما ، وانهم وجدوا أنفسهم مرغمين على خطف هذه الطائرة بالذات .. غالبا كانت خطتهم تتركز على طائرة أخرى .. مهمتهم أن ينفذوا مطالبهم لا أن يموتوا .. اذن من مصلحتهم أن يظلوا أحياء مثلنا بالضبط ، ولن يضحوا بأى راكب الآن فهم بحاجة لنا للتفاوض إلى أن تنتصر (الكومنتيرن) ..

من هو ؟... هل الطفلة هى من أريد ؟.. احتمال وارد جداً ومغفر جداً مع ظهورها غير المفهوم واختلافاتها غير المبرر ... لكن ..

صاح الفتى طويل الشعر ذو الشارب الكث (بيتر) :

« أنت أيها الطبيب .. اجلس حيث أنت .. »

نظرت له فى حيرة ، ثم جلست جوار (فائن) . وفى اللحظة ذاتها ظهرت المضيفة الشمطاء ومعها مضيفتان أخريان وهى تدفع عربة عليها مشروبات.. وكان ذلك الفتى العصبى (ماير) يراقبهن كالصقر .. فى كل مرة أكتشف وجوها جديدة من الطاقم .. واضح أن عدد أفراد الطاقم لن يقل عن سبعة ..

(*) الشيوعية للدولة .

صاح (بيتر) فى الركاب وهو يتناول رجلاجة ماء من على العربا :

« اطلبوا ما تريدون من مشروبات . حاولوا أن تهذعوا لأن العصبية لها ثمن عال جدا . إن بومكم م زال طويلا وشاق .. »
شعرت برغم كل شيء نوعا من التصنع الصبائى فى تصرفاته .. هذا البنى سعيد بما يقوم به . وهو يشعر أنه بطل أحد الأفلام التى يراها . يقول لنفسه : لكم انا وسيم وخطير .. لو أن حبيبتي رأتني !!

هكذا بالفعل حاول لجميع الحصول على لحظات انتعاش بالنسبة لى كان حبر الحصول على بعض القهوة عظيما جدا طلبت (قاتر) بعض القهوة بدورها . ثم سالتنى .
« هل تعتقد أننا سننجو ؟ »

« بالتأكيد ! »

قلتها وان اعرف أنه ما من شيء أبعد عن الحقيقة من هذا .. كلما فى خطر داهم حتى الخاطفين انفسهم . دعك من طبيعتي المتشائمة الدائمة حيث لا أعتقد أن أحدا ينجو فى أى مكان . سواء كان هناك خاطفون أم لا ، وسواء كنا فى طائرة أم لا ..

بدأت الطائرة تهتز .. ورايت الرجل الذى يهددك موشكا على السقوط . اب المضيفة فقد تعثرت وكادت تنقلب على وجهها .. ماذا يحدث ؟ .. مطب هوائى .. لقد مررنا بالكثير منها ، وأرجو أن يكون الطيار الذى تلقى علفا لا بأس بها قادرا على مواجهتها .. اهتزاز .. اهتزاز آخر ..

فعلاً ما زالت الطائرة شينا محبفا .. يمكن للمرء أن يواجه كل المشاكل بشرط أن تكون قدماء على الأرض .. لابد من ارض تقع عليه وتلتقط أنفاسك ثم تنهض ثانية .. لكن هنا لا ارض . لك ذات خيرات الريشة التى تذفها الريح . لكن الريشة لن تنهشم لو سقطت . لا وزن لك ولا اهمية وسط قوى الطبيعة العتية التى قضت على الدياصورات وحفرت المحيطات وجعدت سطح الأرض لتتكون الجبال واباد الجيوش .. لا شيء يفصلك عن النهاية سوى خيط واد اسمه براعة الطير .

هنا سمعت تلك المضيفة الشمطاء التى تدعى (بليندا) تصرخ :

« دكتور ..!.. هلا جنت هنا ؟ »

يا لها من رحلة !

والأسوأ أنك كطبيب سيكون عليك أن توجد في كل مكان .. سوف
تطلب منى استئصال الزائدة الدودية لهذه الطفلة أو ذاك الرجل
طبعاً.. نظرت للقرصان القريب منى فلم يعطى .. هكذا نهضت ..
كانت المضيفة تغلب على باب الحمام وهي تحاول فتحه .
والتفتت لى عندما بلغتها لتقول :

— « هناك راكب دخل الحمام منذ دقائق .. لقد سمحوا له
بالدخول أخيراً بعد ما طلب ذلك ثلاث مرات ، لكنه تأخر بالداخل
كثيراً .. الآن اسمعه يعوى كأن هناك من يمزقه .. »

أصغيت السمع . بالفعل هناك صوت عواء من داخل الحمام ..
لأنه أنه تحول إلى مدعوب وكان يريد الانفراد بنفسه .. هذا حقه
الطبيعى ..

قلت لها أن تفتح . وكان أحد القراصنة — المدعو (ماير) —
قد لحق بنا . فرفع المسدس وصوبه إلى الباب بحركة انحرافية
تدل على أنه يجيد التعامل بالسلاح الناري فعلاً ..

انفتح الباب .. وكان أول ما أثار رغبى هو أن كل الجدران
ملطخة بالدم ..

المكان ضيق طبعاً .. لكن ذلك الفتى الذى شعرت بأنه أفاق
ملقى على الأرض ..

إنه ما زال حياً ولا أعرف كيف ..

لكنى قدرت أنه لن يعيش أكثر من خمس دقائق بعد هذا ...

-3-

إت إفكتوس

إت دفكتوس

سمير إن أتجاريا

* * *

جرده خارج الحمام الصيق . وسط صراخ الركاب في الحلفية
الذين شعروا بن هناك كارثة . والقرصان الذى كان يهدمنا اتفنت
أعصابه تماما . تعلمت هذا منذ زمن أنه حتى القتل المحترفين
يفقدون رباطة جأشهم عندما يرون ما اعتاد الاطباء ان يروه ..

ركعت جواره وسألته فى لهفة :

« ما الذى فعل بك هذا ؟ »

سمع العامية المصرية ، فمد يده بعصر سنترى كانه لا يريد
أن أتخلي عنه ..

نظر لى بهينين متسمتين رعبا :

« كامل ! »

« كامل فعل هذا بك ؟ »

« كامل . الله يخرّب بيته .. هو الذى طلب منى تهريب هذه
العلبة .. »

« ماذا كان فيها ؟ .. هل تسمعنى ؟ .. من هو كامل ؟ »

لم يكن هناك داع للالحاح ، لأن الرجل كان ثرثارا .. لقد حكى
لى الكثير حذا عن نفسه وعن حياته والمهمة التى كلف بها . كل
هذا قاله فى خمس دقائق وهو يرتجف ..

اعتدت ان يتكلم المحتضرين ببخل شديد وان يعطوا رموزا ،
لكنه حكى لى كل شيء فعلا فيما عدا شين واحدا : ما الذى فعل
بك هذا ؟

كلما سألته راح يبكى ويردد :

« .. كامل .. الله يخرّب بيتك . النفوس قد تغيرت والناس لم
تعد كما كانت .. »

« ما الذى كان فى العلبة ؟ »

« النفوس قد تغيرت ... »

هنا قد صبر (ماير) هذا فشددنى من كفتى بقلطة وهتف :

« ماذا يقول ؟ .. ما الذى فعل به هذا ؟ »

نظرت فى عينه بثبات وقلت بالإنجليزية طبعاً :

« إنه يحتضر . يقول كلاماً غير مترابط .. هل تعتقد أننى لم أسأله عشر مرات ؟ »

أطلق سبى المانية - على الأرجح - وخطا فوق جسد الفتى ليدخل الحمام الملطخ بالدم بعنقه بعناية ..

كان (محمود) - كما عرفت اسمه - عرى الجذع .. لقد نزع قميصه داخل الحمام . وحول ان ينزع الشرايط التى تثبت تلك العلبة لصدره .. اما ما حدث بعد ذلك ، فلا افهمه .. هناك تمزق هائل فى الجهة اليمنى . الضلوع مهشمة والربة ظاهرة .. كان دهاً قضم صدره فى هذا الموضع ..

شئ ما مخيف وشرس غادر اللقافة .. لكن أين هو ؟ هل توجد مخابى فى الحمام ؟

قال محمود وهو يبذل شفتيه بلسانه :

« النفوس قد تغيرت .. لم يعد هناك أولاد ناس .. هل .. هل عندكم ماء ؟ »

الجرح بليغ فعلاً ولا أعرف من أين أبداً .. لا يوجد شريان أضغط عليه أو نسيج أضمه .. كما لا توجد محاليل أحقتها لتحسين حالة الصدمة هذه .. إذن هو الماء فعلاً ...

نظرت للمضيفة وقلت : (ووتر) ، فنظرت لى بدورها بمعنى أن هذا قد يعجل بموته ، فصحت بعصبية :

« هل ترين أن بعض الماء سيؤنيه حقاً أكثر مما هو فيه ؟ .. إبنى إثن أنك على تفاعل .. لم يعد هناك جدوى من تعذيب هذا البائس .. »

ناولتى زجاجة ماء فسكبت قطرات على شفتى الفتى ..

الأتاق تصح الحظ الذى دمر نفسه ودمر كل من قابله كما فهمت من قصته . نهاية مؤسفة فعلاً لكنها عادلة نوعاً ..

« عندما تسمع هذه الأغنية ، فاهرع لتلحق بالركب ..

« الركب الذى يعبر نهر ستيكس الآن ..

« الموت الزاحف الذى يغرق العقول فى لجته .. »

بالفعل قبل أن يكمل الجرعة كان قد مات ..

نهضت مترنخاً .. وطلبت من (ماير) أن يساعدنى كى نولرى الجنة فى نهاية الطائرة ..

لقد فهمت قصة (محمود) هذا وعرفت ما حدث تقريباً .. لكن هناك ملاحظة مهمة .. يبدو لى أنه الشخص الوحيد الذى لم

يسمع اللحن .. اذن (كامل) هذا هو الذى سمعه .. (كامل)
كلفه بان يأخذ معه اللقافة وحدد له هذه الطسرة بالذات ...

هل يعنى هذا شيئا .. من هو (كامل) ؟

لا أعرف من هو نكسى عتقد ان محتوى اللقافة كان

كان المندوب نفسه " وهو الذى حرر فى الطائرة فلا يعنى
إلا الله أين هو ...

سألنى (ماير) وهو يدس المسدس فى بظافه .

« من الذى .. بل ما الذى صنع به هذا ؟ »

« مات قبل ان يقول نكسى اشد فضولا منك . »

تركنى واندفع ركض الى قمرة القيادة ليخبر (مولر) بهذه
التطورات . مولر كما هو واضح هو قائد المجموعة ولا بد أن
يعرف كل شيء

مشيت عائدا الى حيث كانت (فاتن) تنظر لى فى فضول .
فجلست جوارها وتنهت .. هذه المرة قررت أن أمرح قليلا
فنزعت حذاسى . أت استحق هذه المتعة .

« نحن فى خطر .. أليس كذلك ؟ »

قالتها دون أن تنظر لى ، فقلت :

« بلى . سمعت على الأرجح .. كل شيء يدل على ذلك .
كنت لأكتب عليك .. »

لم تندهش أو تقل شيئا .. فقط تنهدت ونظرت لسقف الطائرة
وقالت :

« شعور فاس ان أموت الآن . كنت أشعر أن حياتى تصعد
محمى عالى مقترية من الذروة . الذروة التى لا أعرف ما هى .
لكن عمل حياتى الأهم والذى سيذكرنى الناس به لم يتم بعد ..
لا أعرف ما هو . ربما هو ديوان شعر أو كتاب .. لكن أواته لم
يحن بعد .. لمست مستعدة للموت الآن .. »

قلت لها :

« أعرف شعورك .. كل شيء فى الرواية يقترب من
الذروة وفحة اكتشفت ان باقى الصفحات ممزقة . لقد انتهت
الرواية عند هذا الحد .. »

قالت دون أن تنظر لى :

« هناك أشياء أنا نادمة عليها . مثلاً كان يجب ان أتزوج
ويصير لى بيت ... هل أنت متزوج ؟ »

— « لا .. وأرجو ألا يكون هذا عرضاً للزواج .. »

نظرت لى طويلاً ثم اهتزت بالضحك :

— « لقد تقدم لى رجال أجمل من (أبوللو) وأغنى من (قارون) وأقوى من (هرقل) .. هل تتصور أن أقبل بمن هو مثلك بعد هذا كله ؟ على فكرة .. لما سمعت حلقة من برنامجك .. إنه سخيف وثافه ويدعم الحرافة ... لم أرد قول هذا لكن بما أن هذه لحظة الحقيقة »

— « فهمت . واسمح لى باعتراف مماثل . بالنسبة لى أنت متصنعة جوفاء تقوين كلام كبيراً لا معنى له .. وتتظاهرين بأن الرجال معجبون بموهبتك فقط ، بينما هم لا يرون سوى جمالك .. ولو قابلوا بالعة طماطم أكثر فتنة منك لنموا كل شيء عنك . هذه قلة ذوق منى لكنها لحظة الحقيقة كما تقولين .. »

نظرت لى فى توتر .. حتى اليوم لم تلق الأثنى التى تلعب بروح رياضية وتقبل أن تطبق ذات القواعد عليها ، لكنها لحسن الحظ وجدت أنها أكثر تعباً واكتئاباً من أن تفعل أى شيء .. هكذا صممت ..

سألتنى بنفس الطريقة المحايدة :

— « هل الطيار على ما يرام ؟ »

— « الطائرة لم تسقط بعد . هذه انباء طيبة . »

هنا فوجئت بمن يبدو مى ليضع يده على كتفى . ذلك الروح
الفرنسى الذى يبيع روجته صعب حذمه . جلس على طرف
المقعد المجاور حتى لا يظل واقفاً

من يده مصافحاً وقال بالتحيرية كسيحة

— « مورييس جوشار .. طيار .. »

— « رفعت إسماعيل .. طبيب .. »

نظر حوله ثم سألتنى :

— « هل الطيار بخير ؟ »

— « ليس تعب .. لهذا استدعوسى نحن نظير بنصف طيار . »

— « هذه لطائرة هي بويج من طراز DC-10-30 من الناح

لوجلاس كالعادة . هذا هو الطراز الأكثر شيوعاً . وهى ممتاز

بثلاثة طغف من سرعت الهبوط .. أنه فى الحو منذ عام 1972 ..

أعرف كيف أقودها .. لن تكون مشكلة بالنسبة لى . »

نظرت له مفكراً .. على الأرجح هو يعرف ما يتكلم عنه .. لا يبدو مجنوناً .. لكن لابد من ساجيل هذه الخطوة .. لا أريد المجازفة به الآن . إن هؤلاء الحاضرين مجتئين ولا يمكن التنبؤ بأفعالهم ..

— « لنبق هذا سرا إلى أن أعرف ما حدث للطيار .. »

ثم دار بيت حديث سريع فعرفت منه قصته مع الشريط .. وهي قصة صارت مكررة وحدثت للجميع تقريباً ... فقط لا نعرف من يرسل هذه الشرائط لكن الحقيقة ننضح كل دقيقة ، وهي أن هذه الأغنية لا يمكن مقاومتها ..

دسست قدمي في حدائي من جديد بصعوبة بالغة ، لأن قدمي نورمتا . ونهضت ماشياً نحو قمرة القيادة .. استوفقي (بيتر) هذا سائلاً عما أريد فقلت له :

— « أريد أن أعرف هل مات الطيار أم لا . »

دق باب القمرة ، فانفتح الباب وظهر وجه ذلك الفتى قلبي الملامح . أعقد أننى أطلقته عليه اسم (هانز) .. نظر لى ثم سمح بالدخول .. وقال لصاحبه بالأمانية :

— « انهم ينتظروننا في مطار (جى أف كى) .. يعرفون كل شيء الآن .. »

طبع أنا لا أتكلم الألمانية لكنى أعرف بضع كلمات لم يستخدم خارج نطاقها .. جملة فيها (فارت) و (جى أف كى) و (فيس) و (أليس) و (يتمت) ليست لها معن كثيرة أخرى

رائحة القمرة لا تطاق .. مزيج من القيء والدم وفهمت أن الطيار أفرغ معدته عدة مرات .. هذه علامة سيئة ومقلقة .. كتبت هناك جنتان في التركن .. جثة الطيار الآخر وجثة المصيفة متى قتلوها وكيف ؟ .. هل حاولت مقاومتهم ؟ .. على كل حال وضح أنهم لم يستعملوا السلاح الناري خوف من تغيرات الضغط .

كان الطيار جالساً في مقعد القيادة وعلى المقعد الآخر جلس (مولر) وكان الطيار قد ربط رأسه لبس كضمايدة ولكن على سبيل (التمهيب) فلاند أن الصداق سيفجر رأسه

لبوت منه ووضعت يدي لأفيس ببصه . بطيء جداً .. علامة سيئة أخرى ..

— « هل أنت بخير ؟ »

— « لا .. »

قالها ببساطة ونوع من الفخر . ومد يدا ترتجف بعلاج شيئا ما في لوحة القيادة . بينما كان الطيار الآخر الشاب امذعور

يتكلم في الميكروفون بتلك لطيفه اسريعه مستحيله الهم التي
يسمونها 'Technish' ..

الأمور سيئة فعلا ... من سحج هذا لغني سوى في تحويل
الطائرة إلى فتات مشعل . اعتقد ان الوقت قد حان لاقتراح
عليهم ان يتركوا بفرسى يستكمل القصة ..

سالني مولر وهو يلتهم شطيرة يبدو أن المصنفات جننه بها .
- « ماذا حدث لذلك الغي العرس في الحمام يا دكتور ؟ »

- « مزقه شيء كالدببة .. »

- « وما هي احتمالات ان يقابل دبا في حمام طائرة ؟ »

تنهت وقلت :

- « قل لي أي شيء طبيعي او معند في هذه الرحلة . لقد
كان سين الحظ ، لكننا اسوا حظا منه . اسوا حظا لأن الشيء
الذي فعل هذا موجود معنا في الطائرة .. »

وهنا سقط الطيار فاقتدا وعيه على الارض ..

-4-

هناك إن هوراه

سيني موراه ..

كوردي بالسلم تاجيتي ..

فرع المهندس (عبد الرق) من شرب كوب الشاي ، ثم
اعاد تفحص لشريط السدى وصله بالبريد مع الشريط مذكرة
تقول له حص بالذكور ، سمي الحقبوي (السدى ففده عالم
الموسيقا في حادث المصعد اللعين ذلك

لم يكن من شريط كسيت من كل مسجلا على بكره . وقد
هور لاسر بالذكور (فس) ليحد رايها . فعرف انها في
إجازة قصيرة بالولايات المتحدة .

كان امعد الشد (فسادى) جائسا في ذات العرفة يستهى من
إفطاره ..

سأله وهو يرفع الشريط في يده :

- « هل عنك فكرة عن هذا الموضوع ؟ »

— « لابد من سماعه أولاً .. »

ونهض المهندس ليثبت البكرة فى موضعها على الجهاز . ثم قام بتشغيله .. هنا تصلب ..

(فادى) كدك تصلب .. وفتح فمه دون ان يدري فتساقط الطعام من ركبته . لقد كان هذا روع شيء سمعه منذ أعوام . اللحن برشعه ويطويه الى شيطان ثانية ثم يراها من قبل .. شيطان تغريك بأن تفرق بسفكك هناك وتموت

— « هذا .. هذا لحن غير بشرى .. »

— « لا بوصف بكلمات .. »

— « هل تفهم ما يقولون ؟ »

— « يتكلمون بلغة غريبة . غالباً هى اللاتينية .. »

— « من كتب هذا ؟ .. من هذا العبقري ؟ »

طلب منه (فادى) أن يعلق الجهاز . فقد امتلات روحه بالنشوة كالزجاجة حتى أوشكت على أن تفيض وتسيل وتغرق كل شيء ...

كانت عيناه دامعتين ، وقال وهو يرتجف :

— « سوف أقوم أنا بتقديم هذا الشريط .. »

— « لكننا لا نملك أية معلومات عن ظروف تأليفه .. التاريخ ..

اسم المؤلف .. اسم المقلوعة .. »

— « سوف نقدم المعزوفة . ونقول إننا سنكتفى بروعتها ..

لن نقدم أية معلومات لأن الموسيقى هى المعلومة نفسها .. هناك طرق للعب بالألحان لا تنتهى .. »

ساد الصمت ، ثم نظر المهندس لساعته ..

البرنامج سيذاع غدا . أم الآن فهو لسبب ما يرغب فى السفر الى الإسكندرية بعد انتهاء ساعات العمل .. هل يوجد سبب معين ؟ .. لا يعرف .. لكنه يريد أن يكون هناك وان يرى البحر . لربما ينتهز الفرصة فيمر على ابن اخيه المتزوج حديث .

لا يمكن حجز تذكرة قطار الآن .. إذن لا حل سوى (البيجو) .. نعم .. (البيجو) ..

فرغ الأستاذ (عدنان) من السعال . ثم راح ينامل فرقة كورال قصر الثقافة الواقفة أمامه ..

وجود كاتحة فقيرة فعلا .. لا ذرة جمال فى السوء الشديبات الثلاثى أرهقتهن الحياة . ولا ذرة إلهام فى الرجال الذين بدون

كموظفين في إدارة حكومية متداعية لكنه استطاع أن يستخرج خير ما فيها من ذهب وعندما تسمع صوت غنائهم يخيل لك أنهم الكورال الملكي أو حتى فرق فيينا .

كانوا على وشك بدء في عشاء طففوقة سيد درويش تلك .
لكنه قال وهو يتنحى :

« نُدع هذا حلق الآن هناك شيء ارد ان يدرّبوا عليه . »

سأله أحدهم .. أكثرهم نكاح :

« لسيد درويش أيضا ؟ »

« بل هو تشيد غربي .. باللاتينية ! »

تبادلوا النظرات وصحك بعضهم ضحكك بهاء فصرب
بالعصا على حامل النوتة وقال :

« نيس هذا مستحيل نذهب لعمل عدة نسخ من النص
وبحروف عربية كبيرة واصحة سهر عو منها واتم تشين ..
الفرقة كذلك تلقت النوبة الموسيقية وسوف يبدأ قنرب عليها »

قال فتى آخر :

« هل تتوقع يا سيدى أن نحفظ هذا ونجرى عليه بروفت .
والحفل بعد أسبوع ؟ »

« أتوقع طبعا وإلا لما طلبت ذلك . »

« نحن غير مدربين على غناء الأعمال الغربية .. »

« هذه مشكلتى أنا . ما عليك إلا التنفيذ .. »

تبادلوا النظرات .. كانوا يعرفون أنه قادر على عمل المستحيل .
لكن نيس إلى هذا الحد .. وما هي هذه الأغنية ؟ وما أهميتها ؟ ..
المحافظ سوف يكون موجودا في الحفل ، وهو بالطبع يفضل
سماع سيد درويش ...

لكن الأستاذ (عدنان) قال فى إصرار :

« سوف نعود لسيد درويش .. لكن هذا التشيد أولاً .. لقد
قلت إننا سنجيدده وهذا ما سوف يحدث .. »

ثم ضرب على حامل النوتة من جديد وهتف :

« مكووووت ! »

الشريط كان ضمن الشرائط الجديدة التى جاءت اليوم .
أحضرها (ماهر) كعائته يوم الاثنين . ومعظمها أغان لفرق
جديدة مثل (المصريين) و (الأصنفاء) و (أبنا) و (بوسى أم) ..
لكن هذا الشريط ؟ ... لا توجد علامة للشركة المنتجة ولا أية

بيانات . فقط غيبة سوداء أنيقة لامعة وكتابة بحروف لاتينية
مستحيلة القراءة لأنها مزخرفة أكثر من اللازم ..

(ماهر) ليس هذا . سيتصل به فيما بعد ليفهم سر هذا الشريط ..

لكن ليسمعه أولاً ...

كان البدراوى حذرا ذات مرة وقع فى مقلب محرج . عندما
وصله شريط مجهول كهذا فشغله . وكانت السماعات مفتوحة
على آخرها لينبض من المحل المخترم صوت تاوهات مشببة
للمطربة الأمريكية (دونا سمر) التى اشتهرت بهذا النوع من
الغناء . أعلق الجهار نكر بعد ما احتشد ذهاب لشرع كله امام
المحل وانطلقت التعليقات الصاخرة ..

لهذا كان حذرا ففصل السماعات العملاقة . وحقق الصوت ثم
دس الشريط فى الجهاز واصفى قليلا .

يا للهول ... ما هذا ؟

إن شعر ساعديه ينتصب وقشعريرة هائلة تسرى فى جسده
من الرأس حتى اصابع القدمين .. كان البدراوى قد سمع كل
شئ ولم يعد سريع التأثر .. بل إن الغناء لم يعد يؤثر فيه على
الاطلاق . كما أن الكبابجى لا يشتهي اللحم المشوى بناتا ..

لكن .. هذا اللحن ... إنه لا يصدق .. لا يوصف . من أين
تأتى هدد الاصوات التى تنشد ؟ من كتب هذا اللحن الغريب ؟

ولم يدر كيف أعاد توصيل السماعات العملاقة بالكاسيت ورفع
الصوت ..

ومن المحل الذى يحمل اسم (كاسيت البدراوى) دوى النشيد
الرهيب برج الشارع رجا . وفى هذه المرة احتشد الناس
لا ليسخروا أو يتلامزوا ولكن ليسمعوا ...

ولم يصدق أحدهم أنه ..

كان (مولر) أكثر تفاهماً وقابلية لفهم الدعابة ، لذا قلت له
همساً :

— « أرجو أن تكفوا عن ولعكم بقتل الطيارين أو ضربهم ..
لا يوجد شيء يضمن أن هناك طياراً آخر على متن هذه الطائرة . »
خبيب أملى ولم يفهم الدعابة ، وقال فى جدية :

— « احتمال صعب فعلاً ... يجب الحفاظ على سلامة هذا
الفرنسى .. »

قال (جوشار) وهو يعلق زراً ما فى سقف القمرة ومتناول
يده :

— « نحن نقرب .. أرجو أن تبلغهم بإحداثياتنا .. »

هت ارتجت الطائرة كلها بفعل مطب هوائى عنيف ...

إنه سائق سبى لا يتفادى المطبات كما يجب . هذا واضح ..

هنا نظر لى (هانز) بوجهه القاسى المنسدر بالذبح ، وقال
وهو يرفع صوته :

— « هل تريد شيئاً هنا ؟ عد لمقعدك .. »

— « سوف أفعل .. حصيت أننى قد أكون ذا عون لكم .. »

-5-

كود بير سورتيك

ستيرنيت فورتيك

ميكوم أوميس بلاجيتيه

* * *

قال الفرنسى (جوشار) وهو يمسك بعضا القيادة :

— « أعتقد أنى قادر على السيطرة عليها .. »

ثم راح يمرر أنامله على الطادات والموشرات .. عملية معقدة
جداً .. لهذا أدعو الله أن يكون عبقرياً ..

كان الطيار الآن قد صار ممدداً على الأرض جوار جثة الطيار
الثانى والمضيغة ، لكنه كان حياً على الأقل .. كان يتنفس وإن
دخل فى غيبوبة لا بأس بها .. لم يكن بوسعى سوى أن ابلل
مندبلاً بالماء البارد أمسح به وجهه ...

كان (مولر) يراقب الفرنسى فى توجس وارتياح ، لكنه
بالطبع مطالب بأن يثق به .. من دونه نحن هالكون لا محالة
وقد تحولت المهمة إلى عملية انتحارية لا شك فيها ..

« لا يوجد ما نفعله . منذ بداية الرحلة وأنت لا تستطيع عمل أى شيء سوى بدء الرعب . لا تفسيرات . لا علاج أنت مثلنا أو أكثر جهلاً ... »

طبعا هى هامة . لكن لا تطالب بالمعجزات طبيب ليس معه جهاز ضغط ولا سماعة ولا محفص ولا تاريخ حالة . ولا جهاز محلول ولا ادوية . ولا تطالب بالمعجزات طبيا باطنيا يرى أمامه رجلا تمرق صدره تماما حتى ظهرت لربة . هزرت راسى واستندرت خارج فسمعت (هانز) يقول بصاحبه بالإنجليزية كى أسمع :

« لو بدأت المفاوضات وحاولوا خداعا . فلمسوف يكون هذا ضحيتى الأولى ! »

قال (مولر) ضاحكاً :

« لا تقتل الطبيب .. قد تحتاج له فيما بعد .. دعك من اته مصرى .. اى اته فى صفوف الضحايا مثلنا وليس فى صفوف الجلادين .. »

مشيت بين المقاعد وأنا أختلس النظر للامريكيين الجالسين متوترين .. لا يوجد شك فى جنسية أول ضحية .

هنا شعرت بيد قوية تعصر ساعدى .. نظرت لصاحب اليد فوجدته هو لا هى .. الزوجة الفرنسية تنظر لى بعينين دامعتين وتقول :

« كيف حاله ؟ .. لا ندعهم يؤذونه .. إنهم سفاحون .. »

لبتسمت لها مطمئناً وقلت :

« هو بحير وسيظل كذلك لانه أملهم الوحيد فى الهبوط على الارض .. لن يكرروا الخط مرتين .. »

وحررت يدى برفق وواصلت المشى . فوجدت (جيسون مكالستر) جالسا فى دات المكان يحاول أن يقرأ . طبعا هذا مستحيل . ان ما يقرود فى الكتاب هو هواجسه وكوابيسه الخاصة ..

جنست جوارده فطر لى متسائلا .. ثم قال :

« هل عرفته ؟ »

« من ؟ »

« المندوب .. »

« لا .. لكن هناك علامات كثيرة تقول إنه كان حبيس تلك

العلبة التى مزقت صدر الفتى .. »

« أى فتى ؟ »

واضح أنه لا يسمع الأخبار على الإطلاق ، لذا حكيت له كل شيء .. كانت عيده تسعدان .. وفي النهاية همس شيئا باللاتينية . فسألته عن معناه .. قال :

« الموت الزاحف الذى يفرق العقول فى لجته ..

« إنه النوم .. الموم الذى لا صحوة منه ..

إن نظرتك صحبة وثبتت نفسها فى كل لحظة .. »

قلت فى ضيق :

« ليس تماما مثلاً لماذا لم يتلق (كارل أورف) هذه الدعوة للموت ؟ »

ابتسم فى مرارة وقال :

« من الواضح ان هذه اللغة تحمى من ينشرونها .. تبقيهم أحياء إلى أن ينتهوا من تجميع اللحن ويعطوه لآخرين .. ولربما كان السبب هو نوع من المناعة اكتسبها طبياخ السم .. »

وفجأة نظر جولرى وغشم :

« رياه !.. متى جاءت ؟ »

نظرت باتجاه عينيهِ فوجدت تلك الطفلة الجميلة المخيفة . التى يغطي الشعر نصف وجهها وتنتظر لنا فى ثياب بالعين الأخرى الناعسة ..

« لا عليك .. أعتقد أنها جزء من اللعنة .. ثمة احتمال ممتاز أن تكون هى المندوب الذى يتأكد من نهايتنا .. »

وجنبته من يدها فى شيء من العنف فأجلستها بيننا . ونظرت فى عينيها وسألتها :

« من أنت ؟ »

لكنها لم ترد كالعادة .. ظلت ترمقنى فى ثياب ... لكنى أعرف أنها ليست خرساء بعد ما غنت الأغنية بتلك البراعة .. الأطفال الذين يغنون باللاتينية القديمة مخيفون دائم . وأنت تعرف القاعدة القديمة التى تقضى بقتل كل طفل يتكلم اللاتينية .. بل قتل كل شخص يتكلم اللاتينية بطلاقة ما لم يكن فساً كاثوليكياً !..

« ما اسمك ؟ .. كومون تابل تى ؟ .. فلز إست إيرى نامى ؟ .. كومى تى كوامى ؟ »

وهزتها بعنف أكثر . وكررت السؤال بالإنجليزية والعربية والفرنسية والألمانية و .. هنا انفجرت شفتاها وبصوت لم صدق اتنى اسمعه همست :

« شارون ! »

ثم علت للصمت .. هنا هتف (جيسون) كمن لكشف شيئا مهماً :

« لكن .. هذا الاسم .. إنه ... »

فجأة رايتها تنظر إلى مؤخرة الطائرة وشاعت على وجهها ابتسامة قاسية .

نظرت للخلف . هنا رأيت شيئا مخيفاً ..

-6-

فيرييس دولشيس إن تمبور

فلونتي ستلت ساب أريور

جولياتا كوم سورور

دولشيس أمور !

رأيت الشيء يبدأ من خلفية الطائرة ...

رأيت أنه يتمدد ..

يزحف ..

بسرعة يمكنك أن تتابعها .. لكنه كذلك سريع حقاً .

هناك في خلفية الطائرة رأيت المضيفة الشمطاء تسقط على الأرض كلوح من الخشب .. ثم سقط راكبان على جانبي الممر .. يسقطون كأنهم ينمون ...

انتقل المشهد مقعداً للأمام وسقطت تلك الراكبة وطفلتها . ثم سقط الجالسون على اليمين ..

هتف (جيسون) فى رعب :

« غلّ سلام ! »

« أو منوم ؟ ! يبدوون لى سامين لا موني ' »

لا أعرف إن كان غزا أم لا .. لكنه ينتقل من مؤخرة الطائرة إلى مقدمتها . ولهذا يجلس الناس فلا يلاحظون ما يدور خلفهم إلى أن يسقطوا هم ، ويأتى دور من امامهم ..

نظري ليس بهذه القوة . لكى أرى شيئا كسانل نرح غريب يبلل جدران الطائرة تنساقط منه قطرات على الجانبين . هذا البلل ينتشر من الخلف للامام كال الطائرة إصبع طيشور غمسته فى زجاجة هير . ينتشر ... ينتشر

المزيد من الركاب يسقطون .. والبلل يتحرك للامام

صاح (جيسون) وهو ينهض :

« الموت الراحف الذى يغرق العقول فى لجنه ..

« إنه النوم .. النوم الذى لا صحوه منه . »

« الأغنية ليست مجازا إذن .. هذا الذى يزحف عليّ هو (النوم الذى لا صحوه منه) .. هؤلاء ماتوا ! »

قلت وأنا أنهض بدورى :

« لا أظن أنهم ماتوا . لكن لا فارق لان النوم سيزحف حتى قمره القيادة .. هكذا تهوى الطائرة كعصفور أصابته جلطة دماغية .. »

ورابت المدعو (بيتر) بسقط على الأرض ويده على المسنس .. التفت (ماير) للخلف ليفهم ما يدور .. نادى صاحبه :

« بيتر ! .. ماذا حد ... ؟ »

ثم سقط بدوره .. لقد تخلصنا من قرصانين لكن أكون كاذبا لو قلت اتنى سعيد بهذا .. هكذا نهضنا وجذبت الطفلة من يدها فلم تستجب .. قلت لـ (جيسون) :

« احملها واتبعنى ! »

« ولمأذا لا تحملها أنت ؟ »

« لا وقت للجدال .. إن قلبى يدق بفعل القصور الذاتى لا أكثر .. لن يتحمل عشرين كيلوجراما إضافيا .. هيا ' »

« فلنتركها هنا ' أنت تعرف أنها ليست طفلة .. »

« لهذا السبب بالذات أعتقد أنه من المفيد أن تكون معنا .. »

هكذا حمل الطفلة وركضنا نحو قمرة القيادة ، ودققنا الباب كالمجانون ..

نظرت للخلف فوجدت ان الهول يقترب فلا تفصلنا عنه إلا خمسة صفوف من المقاعد .. وابت الادبية (فانس) قد مال رأسها للخلف واعضت عينيها حيث جلست ..

افتحوا !.. افتحوا يا حمقى !..

لو نمنا نحن فلسوف نصحو فى العالم الآخر ..

فتح (هاتز) الباب شاهرا ممدسه ورفع حاجبيه متسانلا ، فصحت فيه :

« أدخلنا بسرعة واغلق الباب ، لا وقت للشرح ! »

نظر للخلف وراعنا فرأى المشهد الغريب أو ما استطاع أن يلحظه منه . ارتبك لدرجة انه سمح لنا بالدخول ، فاعلقت الباب خلفى بقوة .. هل هو محكم " ... هل يمكن لشيء أن يتصرف من تحته ؟؟ لا ...

« ما الذى يحدث بالخارج ؟.. من هذه الطفلة ؟ »

قالها وصوب الممدس إلى رأسى .. طبعاً أول ما فكر فيه هو أن أحدهم فجر قنبلة بها مادة مخدرة .. الطريقة المثلى لمكافحة إرهابيين مسلحين ..

أشرت إلى الطفلة وقلت :

« أقدم لكم (شارون) . الاغنية تقول : الركب الذى يعبر نهر ستيكس الآن .. ونهر ستيكس Styx هو النهر الذى يعبره من يموتون إلى العالم الآخر . يقودهم المداوى (شارون) ... إذن هذه الطفلة هى من سيعبر بنا إلى العالم الآخر .. »

هتف (جيسون) :

« بالضبط .. هذا هو ما أردت قوله قبل ان يبدأ زحف ذلك الشيء .. »

وقف (مولر) أصمنا وبعلامحه القاسية التى لا تمزح تسأل :

« عد تتكلمون ؟؟ ما هذه القصة الغريبة ؟ »

هكذا حكيت له كل شيء فى نصف دقيقة .. وهذه المرة بدالى أتة فقد حذره واحترافيته فتكلم .. لم يقل كل شيء طبعاً لكنه ذكر شين عن (كلاوس) والمهمة التى تم تغيير وجهتها فى آخر لحظة .. الاغنية .. وكان رأينا جميعاً متفقاً على شيء واحد : العلية التى كن ذلك القنى يحملها والتى مزقته .. كانت هذه العلية تحوى الشيء .. الشيء الذى يزحف عبر الطائرة ويتقدم نحو الباب ..

ربما كانت الفتاة هي المندوب ، لكن هذا الشيء يساعدنا ..
أو ربما هي تثير بقومه ..

هنا انتهالت الصربت على الباب من الخارج .

صحت في (مولر) أمراً :

« لا تفتحوا » . ما دام هذا الشيء بطرق الباب فهو عاجز
عن فتحه .. عاجز عن الدخول . لو لم نلحق بكم هنا لفتحتم
الباب ودخل ..

أخرج مسدسه وصوبه نحو الباب وفرد ذراعه ، فهدت اصبع .

« لا ! .. لا تحدث ثقبوا ! .. » تعامل معه كغاز قدر على
التسرب لو وجد فجوة !

« غاز يفرغ الأبواب ؟ »

« إنه قادم من ذلك العالم الذى توجد فيه نبيهة فى حمامات
الطائرة .. لا تنس هذا .. »

يوم ! .. يوم ! ..

الفرغت تتواصل

سألنى (مولر) وهو يعيد المسدس إلى نطاقه .

« ماذا تفعل ؟ »

« لا أرى حلاً سوى أن نبقى هنا وأن نحاول الهبوط فى
سلام .. فى نيويورك يمكننا شرح الأمور لقوات المطار ..
يمكننا التفاوض أو الاستسلام .. أى شيء .. المهم أن نبقى
أحياء .. »

« أنت شديد الحرص على حياتك .. »

قالها ساخراً فقلت بشيء من الضيق :

« هي ليست تهمة مشينة . لكن أؤكد لك على سبيل
الدقة أنني لا أبالي بحياتى او مماتى ولن يحسر احد شيئاً
بفقدى حتى أنا ، لكنى اعرف يقيناً أن هؤلاء المسافرين أحياء
وأنهم سيموتون فى حالة واحدة فقط هي سقوط الطائرة .
ولمزيد من الصراحة أقول إننى لا أبالي بحياتكم مشر الخاطفين
لحظة ، وربما اعتبرت وفاتكم مشهداً مسلماً .. لكن من مصلحة
الجميع أن تصل هذه الطائرة لوجهتها .. »

كنت أتكلم وأنا أنظر لوجهه .. هنا رأيت عينيه تتسعان رعباً
ثم وثب ليزيحنى جانباً ويمسك بالطائرة فيلقى بها جانباً ..

كلفت موشكة على بزلة المزلاج لمتفتح الباب .. برغم قصر
قلمتها كنت قادرة على ذلك ، وللمرة الأولى فى حياتى أتذكر
المشهد المخيف من رواية (دراكيولا) لقان هلمنج وهو يجلس

وسط دائرة الطباشير مع مين ، بينم مصاصات الدماء يدرن حوله باحدثت عن شجرة .. هنا يلاحظ ان مين ليست على ما يرام .. إنها تتغير .! من قال لك في امان خفف هذا الجدار اذا كنت تتواري هناك مع شيطان ؟

يوم .. يوم !

القرعات تتواصل

الطفلة خطرة . أعرف هذا .. لكنى اراهن على ان وجودها معنا قد يحمينا ..

— « راقبا أنتما هذه الشيطانة ! »

قالها لى و (جيسور) امرأ . وكان ما فعلته قامب لكنه بسيط ومنطقى . نزع ربطة عنقى وقيدت معصمى الطفلة خفف ظهره . لو كانت مجرد طفلة فاف وحش . لكن لو كانت شيطانا فأنا عبقري ..

راقب (مونر) ما أفعله ولم يعلق . ثم التفت الى طيارب «الفرنسى الهاوى ، وسأله :

— « كم بقى من وقت ؟ »

— « نصف ساعة .. أعتقد هذا .. »

والتفت الطيار الشاب المدعور المسنول عن الاتصالات وقال :

— « نصف ساعة فعلا .. اتهم يسمحون لنا بالهبوط .. »

قال (مونر) :

— « حاول أن تسرع أكثر .. »

ثم صوب مسدسه نحو رأس الطفلة .. وقال بعد لحظة تفكير :

— « م رايك فى ان افجر رأسها الان ؟ »

-7-

كى تى كاريت هوك تمبور

فى فيليبور

لكسى فلوسكنت أريوريس

لاسكيف كاثونيت فولوكريس

دولشيس أمور !

الطائرة البوينج تحلق فى السماء نحو الولايات المتحدة ..

انطلقت من القاهرة فى الظلام . وها نحن أولاء نصل فى
الظلام أيضا ..طائر يحلق نحو نهايته مدفوعا بكلمات أغنية غريبة من
القرون الوسطى ..لقد صارت طائرة موتى .. لا يوجد شخص واع سوى
قمرة القيادة .. وهؤلاء لا يفصلهم عن الغيبوبة سوى باب واحد
جدا ، وعندها تكون النهاية ..

هناك على ارض لايد ان هناك الكثير من الصحب لايد ان
هناك سبرات طفاء ورجال من مكتب التحرى الفيدرالى
ورجل من السفارة لالمانية وخبراء تفويض وكشافات ملونة
و و و حو سينمانى ممتاز ، وقد اشرت عبدة (عصبة
لحسن لاجمر) حبل الجميع .. اى حمر عن (بادر ميسوف)
هو خير صحفي من الدرجة الاولى من المؤكد مع (بادر
ميسوف) ان الطائرة ستفجر وان عدد لا يأس به من الرهائن
ورجل الشرطة سيموتون . نكنهم لا يعرفون ان يحظر سيم
كعب بصورون ان رجال (بادر ميسوف) عليه مثل
لا يعرفون ما يفعلون ولا كيف تنتهى الامور .

كن (ماير) يصوب المسدس لى راس الطفله المكبله .
ويقول كانه يفكر :

.. ليس من عدة المصاصين قتل لاطفال . لكن كل شيء يقول
بها ليست طعنة نو فجرنا راسها فلربما توقف كل شيء . .
قلت له فى إصرار :

.. ولربما تفجر كل شيء . وربما كانت الفتاة بريئة ..
مجرد طفلة لا أكثر .. لا تفعل .. «

هنا هاتف (هاتز) فى عصبية :

لكن أين ذهب ذلك الشيء الذى كان يدق الباب ؟

هناك فى ركن الممر كان (هاتر) يتحسس عنق صديقه
(هوفمان) الغائب عن الوعي .. نعم .. هذا منطقى . الرجلان
حادا المزاج صديقان ..

واصلت البحث بين المقاعد . هذا السائل الذى يبلى معظم
الجدران .. واضح تماما أنه الشيء الذى كان يزحف نحو
لكن ما هو

فرغ (هاتر) من فحص صديقه . وفجأة انطلق يركض نحو شمره
الفيلا . ماذا يريد ؟ .. لا اعرف لكن (جيسون) هاللى همسا

— « اسمع هذه هى الفرصة المثالية . كنت أحلم بأن أوجد فى
عالم فقد لجميع فيه الوعي لأعمل ما أريد . هذا حلم صبيلى قديم .. »
قلت همسا :

— « كنت أتوق لأن يتحقق هذا الحلم لاسرق كل ما فى متحر
باع الخنوى على الناصية .. لكن لماذا نقول ذلك ؟ »

— « إن الذئبين سامعان .. هذه فرصة ذهبية . راقب مطريق
ريثم أفرع من تجريدتهما من السلاح على الأقل سوف يوجه
التنين بدلا من أربعة .. »

— « وماذا عن الرفاق ؟ . ماد عن (بيتر) و (هوفمان) ؟ »

هكذا عرفت أن لاسم الحقيقى — (ماير) هو (هوفمان) ..
لكنى صدقت بصدد (بيتر) .. قلت له :

— « هم بخير صديقى أنا وثق من ذلك طائف بقيت هذه
الطائرة فى الجو .. »

لكنه كان على لقد بدأ بتوريع يديه . والقلق يتخذ صورة
وحشية بعيدة عنى مطلق عرفت أنه سيرتكب عملا احمق

العمل الاحمق هو به فتح لياك وسط اعتراض وخرح

هكذا وجدنا ان يقف فى الفمرة والباب مفتوح . نظرت
لـ (جيسون) فى عدم فهم وتساءلت :

— « ما رأيك ؟ »

— « مثل رأيك ... »

سحدر شديد رحفت الى الخارج .. لم يكن هناك شيء ..

الركاب على المقعد حيث هم . وقد فقدوا الوعي أو ناموا . لموت
من حدهم وبحسبتي نفضيه . انه حى فعلا لا شك فى هذا .

هناك بالطبع من سقط فى الممر لانه لم يحتفظ بتوازنه .
لكنهم كانوا يتنفسون جميعا ..

وهكذا رحل (جيسون) تلى رأسه حتى سمع (نسر) نداء
فراح يقف في حمويه ثم بكى لأمر سهلا لأن نرحل مسبح
كثير سانه مسدداً حذر شمس سوية بكه لا يحمر
حر ما يأسف جمع في شمس وهما حياه وفقد مسدداً لا ينفقه
والسنة في حبيبى ثم رحل على رأسه حتى سمع (هوشن)
الذى لم يعد (مبر) وقد بفرع ما يجويه
في هذه اللحظة تنهر (هشر) من حذب
رأسه وقد ركب على رأسه حلف مقعد ثم مسدداً ثم
لده . وهو يقدم صوت جيسون المبهت في مسدداً
رايت نظرد نارية في عنبه ريت نسر
ذات نظرد معلم لحساب عديم دحر نصف نرى حدم
الشويكى (نهب النوى مع صنفه جف ثم سدت سده
عنبه ذات نظرد ريت نظرد حتى صا حبيبى ثم
ثم بعد ذلك وقد نظرد نوح شمس من حذب
وشيت من حلقه ان مر مامي واعف من مسدداً هوشن
بموحدة لمسدداً على موحدة رسة لاسمى نصيب مسدداً
نحوى في دهشة وكذا فعل (جيسون) الذى سمع صوت النصرية
انقص (هشر) على كانبه انمبعور فعلا

نحوت حور نفسى متوقفة في بفرع الضفة في
(جيسون) انهوى بانمسدداً لآخر على موحدة راس نرحل في
ذات المكان الذى ضربته أنا ..

هكذا نهوى الرجل كبالون مثقوب ..

ان بعدا تكفى صرعة واحدة في انمسدداً نفقدو نوحى
شراء سهر في نسيم ، لهد فر (هشتكوت) ن برت
ما يحدث في الواقع فعلا مشهد النطر وبطلة في فيلم (حلف
نسر نحبدي وحب يحقق عمل المحارب لبوشينه
سهرق مشهد وقت ضويلا رهب وكفهم الكثير من النحب
لا حد يحقق بانمبونه تلى نرف في نسيم

سقت بضعة ورحت بهت سيم راح (جيسون) بفرع
الرجل أسلحته ..

كنت له :

- هؤلاء حضرون نوحافو حتى من دور سلاح مسقت
بعض رصاص على تركاب يحذب تقندهم بحرص شديد

ستعرق العنينة ست دفاق تقريبا ، وفقد خمسة رجار
ربطت عذيقه . وفي السهابة صار القراصنة الثلاثة كصور
السمان المربوطة توطنة للذبح ...

فجأة اهتزت الطائرة بقوة ..

أدركنا أنها تهبط ففاجئ نهواء في انبى قالت نلت بوصوح
ومن قمرة لعياده دوت اعلى ضحكك مجنونة سمعتها في
حياتى ...

* * *

-8-

كى تى كارت هوك تمبور
فى قبلور
مى تينيريم كوام كويو
نى نيمورى ساب فوليو
أوسكيولارير كوم جويو
دولشيمس أمور !

* * *

عند فتح عرفة القيادة ، كنا قد استعرضنا فى ذهينا
معظم الاحتمالات الممكنة . لكن ما ربيده لم يجل بذهنيا قط
هناك كاس الطعنة المقبدة راكعة على الأرض تصرخ وتغوى
كذلك هذ كاس نحطيم لاعصاب فعلا . لكن الاغرب هو
موتى بدي يقف متمسك بمقعد من الخلف ، وهو بصوت
محمس انى رس الطير الغرسى الهاوى
كلن يصرخ فى جنون :

... فلنك نى سافجر راست ' يعقل ' ..

وهكذا فالمندوب المكتف برسائل للعالم الآخر هو قائد الطائرة

الآن !!

لف (مولر) ذراعاه حول عنق الطيار وحاول ابتراعه من المقعد . لكنه كان راسخ لا يتحرك ولم يبد على وجهه أى انزعاج .. فقط واصل الصك والتمسك بالعصا .. هاهى بهض الشاب يحاول معه فلم ينجح ..

سمة مهمة عرفتها فى هولاء الشياطين هى انه لم يستطيعون زيادة ثقلهم لبصير اطلابا . كانهم مسمرون فى الارض .

صاح (جيسون) فى (مونر) والسحاب يتصاير من فمه .

— « أطلق الرصاص على رأسه .. »

— « لكن .. »

— « لا وقت للتردد !.. أطلق الرصاص !! »

وبعد ذلك " هل الاخ (جيسون) جيد القيادة ؟

نك (مونر) اخرج مسدسه من حذيد وحكم النصوب بعيدا عن الزجاج طبع بحث تستقر الرصاصه فى جدار القمرة . ثم أطلق رصاصه .. رصاصتين ...

طبعاً لن يجروا على هذا .. أم هل يجروا ؟

اما ما نراه فهو ان النصر حرك عصا لتحكم فى جنون وان الطائرة تتحرك بسرعة لا تصحى . يمكن ان يدرك هذا بحسبك دون أن تنظر إلى أية عدادات ..

وما نراه كذلك هو ان طيار فرسى صليل الحسد يصحك فى جنون .. ضحكا يوشك على تفجير رأسه ..

كانت عيناه حمراوين سور لدم لا اشك فى انهما نستطعان فى الظلام ..

بينما يصرخ الطيار للشباب المذعور :

— « كائنات ! نحن نهبط ! رحوت ان تتوقف ! »

القصة واضحة لا تحتاج لى مزيد من تشرح .

المندوب هو الطيار الفرسى لهاوى .. هل كان كذلك منذ ابدية وقد حذر الجميع . ام ان الشيء الذى تود الطائرة قد تسرب للقررة برغم كل شيء . ونسئل لى دماغه ؟

لا اعرف . نأ اعرف لكن لاحتمال الأخير يبدو لى أقرب للصواب ..

ثم انه صرح كمن شاعته اتقى وبقى بالمعندس وتراجع

قبل من الناس من تتحمل هذا المشهد . ان يرى شخص
يسقط رأسه بقرب مكانه من اجل حبه ويصيح

ثم تراجع بعد تكفى . لان الصير الفرنسي نهوى مد يده
وظفها على حنجرته وهو يصيح بك نصيحة لتبسطه
ظلمها فمرة فصيرد حده ثم طوح به يستقر هناك عند باب
العمرة . وادركت من مكسى . مرد نهى

منظمة (بالدر مهبوب) قد ثقت قائد العمية هذا وصح

بعد عاد لطيار الفرنسي النهوى - الذى لم يعد كذلك - بهور
الطائرة إلى النهاية ...

ركعت على ركبتى ورحلت بلو الشهدنين وتلك شيوخ الطفرة
لصارحة احصيتها مهبوط طالب نصف وسرى انها
أحاطت عنقى بفراعيها ..

رايت حبسون يجرج ورقة وثما من جيبه . ثم يدون كلمت
وهو واقف فى القمرد مسند تحذر . هل جن اخيرا ؟ لكنه

مست بالورقة وبه بلقى كلاما باللاسسه لالتبية غريبة جدا لم
أفهم حرك منها . يكسى يوما ان حد مقطعا مميرا . و فطة
بضه منسب فى لاحتيريه . لكن هذه المرة لاسى

إنه يلقى .. يلقى ..

م . بهور بالنصط . بعد يرفع صوته بهذا الطريقة
م . رايت الطيار الفرنسي ينصف . رأسه بحصى على لوحه
القيادة والدم يسيل منه ... ثم .. ثم ..

ثم سقط على الأرض بلا حراك ..

بعد صر محر - حته - مرة فخر حدهم راسها

صحت فى (جيسون) :

« ماذا فعلت ؟ »

ك . صر سحنة السبطة على لارض وقال

... ثم بعد . ثم بعد . الطرد نهوى بلا توقف مادا

فعل ؟ »

يهض الطيار النوب المذعور وحلس على المقعد وشد عصا القيادة .. وراح يراقب العدادات .. ثم قال :

« لقد حافظت على ارتفاعنا .. لكن لا أستطيع عمل ما هو أكثر . يمكن ان سور وبدور الى ان ينفذ الوفود فتتهوى .. »

هنا سمعنا من يقول :

« سوف أحاول .. فقط .. مساعدوني .. »

ابه الطيار الاور بطار الحبير المصا بارتجاج فى المبح .
كان يحاول التهورس فيسقط شبة . هكذا سارع لتصعه على
مقعد القيادة .. جنس وتحسن راسه . فميصه ملوث بالقرء
والدم لكنه يحاول التماسك . ويبد مرئحة أمست بالعصا

وعرفت ابه سيسرع خسر قطرات فى بنر وعيه كى يبقى
متيقظا فى الدقائق التالية ..

قال لنا وهو يرتجف :

« سأحاول سأحاول .. لكن أرحوا كومة الجثث هذه
وأخرجوا اتم ايضا . اربطوا ازمتمك فالهبوط لن يكون ناعب .. »

تعاونت و (جيسون) على جر حث الطير الثانى والمضيقة
(مولر) من القمرة .. ثم اصطحبت الطفلة معى للخارج وتمنيت
ان يقدر على استكمال مهمته العسيرة هدد ..

احزمة مقاعد ٤ . لو ربطت أحزمت فس يربط حرمة المائى راكب
فى الطائرة ٤ .. اعتقد ان علينا ان نأمل فى حظ حسن للجميع .

جلست والطفلة على حجرى تلصق راسه بصدرى قدفت
انفى فى شعرها العطر . وسألت (جيسون)

« ماذا فعلت ؟ »

« .. هى محاولة حرق لا أكثر . كان هناك مقطع غنائى
ضمن الاشعر يقوم على تلاوة الايات السابقة بالعكس

« .. هناك فى فنون (الادبائية) فى مصر طريقة مشابهة

« كانت الايات المقلوبة نقول :

« عندما تسمع هذه لاغنية . فاهرع لتلحق بالركب

« الركب الذى يعبر نهر ستيكس الآن ..

« الموت الرحف لدى عروق لعقول في لحنه .

« إله النوم .. النوم الذي لا صحوة منه ..

« واخبره - سوف يقضي بطنيت بوجه من . »

هكذا قام / حيسون بكتابه همداء ليل وفرد معكوسه
كما كانت في انحاء الصبح من الاعلى - كس لا حتمل المحو
في دهشه هو - همداء الطريقة - سوف تعكس عمره
يبدو ان همداء لم فعلا - همداء - سوف يسميه في نص
بالـ (الامير بقى empire) . ان تحرب دون سمان عمي
يدعم ما تريد عمله .. لكنه نجح ..

— « هل تعنى أن اللعنة زالت ؟ »

— « بتأنا هذا غير كاف فقط عادر هذا شيء شيطاني
حثة الفرنسي نتي كس يستعمله كوعاء . همداء سقطت لحنه
بلا حراك .. لا سأنسى عن مكانه لأن على الأرجح هو في
الطائرة يبحث عن طريقة اخرى لإسقاطها .

هت خطر - به في رعب وقد خطرت لي فكرة .

— هل عرفت - همداء الشيء الشيطاني عادر حسد الفرنسي
سحر حسد نظير - الأصي - ولهذا أفاق في هذه اللحظة
بالذات ؟ »

لم يرد واتسعت عيناه رعباً ...

احتمال لا بأس به بهذا

211 . روايات مصرية للجيب

ورائنا عشرات السيارات تلحق بالطائرة وتحيط بها من كل الجهات .. هناك سلم متحرك . طبع الطيار الشاب المذعور أخبرهم بكل شيء .

نظرت حولى فادركت أن ركاب الطائرة المسكوبة يعودون لوعيمهم ببطء .. هذه أول مرة بفشل فيها المندوب على قدر علمي . على الأرجح لم يعد حطة بديلة ولم يكن الوقت كافيا ..

مرت لحظات ثقيلة طويلة ..

ثم سمعت باب الطائرة يفتح ..

نهضت مسرعا واتجهت الى الباب .. هذا هو السلم المتحرك يسبح في الأضواء . سوف اهبط .. أريد أن أشعر بالأرض تحت قدمي من جديد ..

هنا صاح (جيسون) من خلفي :

.. انتظري يا دكتور .. لا بد من واحد منهم يصعد للطائرة أولا . من الممكن أن يمطروك بالطلقات على اعتبار أنك من القراصنة ..

-9-

مويم إست برويوسينام

إن تابيرنا موري

أوت سنت فينا

بروكسينما موريننس أوري

لم تصدق أننا لمسنا الأرض إلا عندما نعدنا فعلا .
والا عندما راحت العجلات تركض في سبيلها المحنون عبر العمر .

كان طيارا عظيما . الطيار الذي يهبط بهذه النوعية بينما هو مصاب بارتجاج مخي . لهو نسر حقيقي . والاهم انه (طاهر ومعقم) ... لم يمسه شيء . لم يتول القيادة بيفتننا .

أخيرا توقفت الطائرة ..

لم تكن هناك مضيئة ترحب بنا أو طيار يشكرنا ويخبرنا بالتوقيت وحرارة الجو ..

فقط صمت بليغ ... صمت ينذر بكارثة .

لكى اتجهت للباب ووقف عذابه وغضب ثم رعى فى مشوة

الخلاص...!

بدأت الرر حنفود بخطووه وسط الصوء التى تعمر
السلم ..

اغمص عيسى على رر القصر وه صلب لمرور بيم اسمع
أصواتا بالإنجليزية تصرخ :

.. توقف !

.. لا تتحرك !

.. « ارفع يديك لأعلى يريد أن نراهنا ..

لكى واصب اسرور ه سمعت حسمور بصرخ - لكى
صوته :

.. « لا تطلقوا الرصاص ! انه لا يعرف ما يفعله ..

ومن مكان ما يصيح كمر من واحد لا يظفر برصاص
لكسى على كل حذر كسد فى سمعت الارض شاتف حوسر

عشرة من ضباط المطار . وقت احسنو استقبالى
بأنطريقة الامريكية كأنهم يمثلون قلب سينمابى يمكنك ان
سحيسر

وجدو سلحة معى . هكذا صار موفقى أسوا بكثير

فى نهاية وحدث نفسى مقبدا بالاصداد فى سيرة سعيد
سرعة البرق عن الطائرة . ونظرت للحلف قريب الرحال
بصعور اى لوحش اسحر الجثم على ارض لعطار سلقط
نفسه سوف يكتشفون شياء غريبة جدا وسوف نطون
التحقيقات لعدة أيام ...

لكن ..

ما معنى هذه الحمافة التى قمت بها ؟

هو كل الرحال كثر بونرا او انقلاب اعصاب . لحوثوسى اى
مصفاة ..

بعدا لم نال بالتحذيرات ولا الخطر . وماذا نصرفت بهد
القباء ؟

-10-

تُونك كاتنبوننت ليتيوس

أنجيلورام كورى

دومس ميت برويتيوس

ويك بوتاتورى

على الأيام التالية اتفقنا كثيرا جدًا نحن معشر الركاب .. والتف
حولى محققون كثيرون جدًا فى غرف حافلة الاضاءة بسحلون
كل كلمة ...

عرفت قصة (فاتر) وقصة رجال (بادر مينوف) وقصة
الروحيين الفرنسيين . لقد نج الطيار من الارجاج . والكل
يعرف انه بطل حقيقى تمسك حتى أوصلت لبر السلامة ..
وحدود قائد الوعى مرتعيا على عجلة القيادة ..

لام الهولندية قالت لى وهى تدخن فى عصبية :

« من أصيب (شارون) بذلك الشظية المعدنية فى عينها .
رغصت ن تركب عين رجالية . وصارت اقرب إلى النبت .

ثم فهمت ...

أنا نفسى قد سمعت لاعتبة مرارًا إذا صرت أنا واحدا آخر
ممن يشعرون برغبة ملحة لعمل شيء ما .. هناك من يركب
اليخوت ومن يجرى جراحة لا لزوم لها ومن يستقل المصعد
دون سبب ..

وهناك من يتجاهل اندار عشر - البندق المصوبة نحو ..

الاتصال بينا شسبه مستحضر.. إنها في عالمها الخاص الذى لا يمكن الوصول له . اما ان فقد خلقت عالمى الخاص من أقراص المهدبت والشراب . واعقد انى كنت فى شبه غيبوبة عدم ركبت الطنرد . ثم رمى بركنسى ومصت بجول كالتطيف بين المقاعد .. »

قلت لها :

— « كنت طبع فى ساحة سفيرد . ثم وصلت ذلك الشريط الذى حرك مشاعرك فقرر سمر سولاب المحدثه فحده .. »

— « كيف عرفت ؟ »

— « لأننى عبقرى .. »

فلتها فى بساطه وتسمعت فى حيث نظرة الدهشة فى عنيها .

أما عن الزوجسة الفرنسية التى فقد زوجها راسه بالنعصى الحرفى سكرمة . فقد كانت حائنها سيرة لا تسمح بانسول عرفت انها فاسه سيرة الأولى منذ اسبيع . فهل كان يعث بها من حل هذا الدور لا أكثر ؟ . هو رجل برىء حوله ذلك الشيء الشيطانى الى وعاء يقوده الطنردة ؟

لا أعرف

بالنسية للشرطة الأمريكية كان تفسير ما حدث عجبيا .. لكن لقصة كانت اى حد ما قسبة للتركيب . (مونر) كاد يقتل فاند الطنردة الاصلى . ثم قتل الطيار الفرنسى الهوى . لكن هذا سم بعث قبل ان ياخذه معه للجحيم . كل شيء وكل جثة على الطنردة تم انهدم القرصنة لأربعة بها . ومن طر لسوال قائما كيف مزقوا صدر ذلك الفتى المصرى (محمود) ؟

لقد فقد معظم الركاب وعيهم بسبب الهبوط السريع للطنردة وسرعة تغير الضغط . هذا هو التفسير الوحيد لدى خبراء المكتب الفيدرالى ..

والآن يا سادة قد حان موعد ثمرة الاخيار المصانية . لقد اصغيت لى طويلا وحان وقت معرفة ما يدور فى العالم .

الأديسة المصرية (فاتن الشرفاوى) التى تزور الولايات المتحدة حالي قد عرفت بالقصة ، وصدقت بهذا الهراء الذى يقوله المخبول (رفعت اسماعيل) . واتصلت بالاذاعة فى مصر سائلة عن أخبار البرامج .. عرفت قصة الشريط الذى ارسله مجهول للاذاعة . عرفت ان مهندس الصوت فقد حياته فى حادث انقلاب سيارة وهو ذاهب للإسكندرية . اتصلت بالمعد

الشباب (فادى) وأمرته ألا يذيع الشريط بأى ثمن .. فليدمره الآن حالاً ..

— « لكنه تحفة فنية .. لو أنك سمعته .. »

— « لا تناقش .. أنا سمعته وأعرف معنى ما أقول .. دمر الشريط حالاً .. »

صمت طويلاً .. لم يكن مقتنعاً لكنه مرغم على ذلك ..

وضعت السماعة ونظرت لى وتهدت ..

قالت وهى ترتجف :

— « لو أذيع هذا الشريط .. كانت ستحدث كارثة .. »

ثم أضافت وهى تخرج مندبلاً لتمسح عينها :

— « عرفت كذلك أن كلبى قد مات !! »

الآن ننقل إلى القاهرة حيث وقعت عدة حوادث غريبة فعلاً ..
مثلاً قصة مدرس الكورال الذى علم نشيداً لاتينياً لأفراد فرقته فى قصر الثقافة ، وقد مات كثيرون من أفراد هذه الفرقة .. هناك وفيات بين أشخاص سمعوا شريطاً يذاع فى محل شرائط بصوت عال ، وصاحب المحل لا يعرف من أرسل له هذا الشريط ..

الحقيقة إن أبيات الجوليارد كانت تحاول التسرب جاهدة .. كانت حية مصممة على الحياة مستقلة .. لقد قررت ألا تغيب ثانية فى هذا الجيب الذى دفنها فيه (كارل أورف) ..

انتهت النشرة ونعود لقصتنا ...

قلت لـ (مولر) ونحن نحسنى القهوة فى ذلك المطعم الصغير فى نيويورك :

— « لكن اللغزة حية وحرّة .. وهناك بالتأكيد من يذكر اللحن جيداً .. هناك من أرسل الشرائط للناس وهو ما زال حراً .. هناك ذلك الشيء الذى هاجمنا فى الطائرة .. »

قال باسمًا :

— « أنت تعرف من كان يرسل الشرائط للناس .. تعرف من هو (كامل) الذى أعطى ذلك الفنى العلبة لتهديبها .. أنت فقط تحسنى الاعتراف لنفسك بهذا .. لقد لعب الجوليارد لعبة قاسية سادية تليق بهم ، ولا تختلف كثيراً عن الحمار الذى يلبس ثياباً مزركشة ... يجب أن نجد (كامل) هذا ونفضى عليه .. أعتقد أن على العودة إلى بافاريا للبحث عن المزيد من المخطوطات .. »

ثم مال على وهمس :

— « أنت رجل واسع التجربة ، وتتوقع وتنفذ أنني أبقيت نسخة من تلك المخطوطات في خزانة سرية .. كنت أمل ألا أفتحها أبداً ، لكن الضرورات تبيح المحظورات .. وأنا أعقد أن هناك طريقة ما لتدمير هذه اللعنة .. طريقة كالتي ابتكرتها في الطائرة ، ولابد أن أوقف استعمالها عندما كان يعمل مع الفازيين »

فكر قليلاً ثم أرفق :

— « سوف أحاول الاتصال به .. سوف أهدده واضغط عليه لأعرف ما يعرفه بالضبط .. »

أنت تعرف أن (أورف) توفي عام 1982 لهذا كان حيناً وقت وقوع هذه الأحداث ..

ثم أن (جيسون) أخرج ورقة نقدية وبلغ الحساب لنا ونهض .. مد يده بصافحني وقال :

— « أعتقد أننا لن نلتقي ثانية .. أتمنى لك حظاً حسناً .. ولكن حذراً في أية نزوة مجنونة تقدم عليها .. قد لا تكون جنوناً .. قد تكون مجرد نداء ! »

وغادر المكان ورجت أرقبه يبتعد في الشارع المزدهم من خلف زجاج المطعم .. بالفعل كانت هذه هي المرة الأخيرة ...

لا أعرف السبب لكنه بدا لي كأنما يمشي على إيقاع (كارمينيا بوراق) ... وهكذا رحت أردد في سرى بشقتين شبه مغلفتين ما بدا لي كأنها موسيقا تصويرية لمشيته :

سمير كريسمس ..

أوت دكريسمس

فيينا ديتستابيليس ..

نونك لوبدورات

إ تونك كيورات

لوتو منتيس آميسم ..

ايجستاتيم

بوتستاييم ..

ديزولفيت أت جلاسيم ..

عندما عدت من الولايات المتحدة ، كان (هن تشو كان) بانتظارى ، وكانت لنا قصة مع الطفل ... الطفل الذى لم يكن خصماً سهلاً بأى حال ..
لكن هذه قصة أخرى

د. رفعت إسماعيل القاهرة

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط
الغموض والرعب والإثارة
• صدر من هذه السلسلة •

- 1 - أسطورة مصاصي الدماء
- 2 - أسطورة الداعية
- 3 - أسطورة وحش البحيرة
- 4 - أسطورة آفة البشر
- 5 - أسطورة الموتى الأحياء
- 6 - أسطورة رأس بيدوسا
- 7 - أسطورة عارس الكهف
- 8 - أسطورة أرض الغرقى
- 9 - أسطورة لغة القروص
- 10 - أسطورة حلقه الرعب
- 11 - أسطورة الثمانين الأخير
- 12 - أسطورة البيت
- 13 - أسطورة الذهب الأزرق
- 14 - أسطورة رجل الكوج
- 15 - أسطورة التيات
- 16 - أسطورة الشفاران
- 17 - أسطورة حسناء العفراء
- 18 - أسطورة الغريباء
- 19 - أسطورة بو
- 20 - حكايات التاروت
- 21 - أسطورة عمو الشمس
- 22 - أسطورة البينوتور
- 23 - أسطورة رعب المستعجمات
- 24 - أسطورة الجور
- 25 - أسطورة الجنون العائد
- 26 - أسطورة المواجهة
- 27 - أسطورة ثا
- 28 - أسطورة آخر الليل
- 29 - أسطورة تانكروم
- 30 - أسطورة يد متصف بالبن
- 31 - أسطورة ثا
- 32 - أسطورة رفعت
- 33 - أسطورة أرض الشوق
- 34 - أسطورة الشايعين
- 35 - أسطورة بدماء فراقولا
- 36 - أسطورة القسيبة السكسة
- 37 - أسطورة النجمة
- 38 - أسطورة التصف الآخر
- 39 - أسطورة التوعين
- 40 - وراء الباب المطلق
- 41 - أسطورة فراتشكين
- 42 - أسطورة الكلمات المبع
- 43 - أسطورة ثغثثف
- 44 - أسطورة رجل بكين
- 45 - أسطورة بيت الكاضي
- 46 - أسطورة طفل آخر
- 47 - المعتزل رقم (4)
- 48 - المعبداء
- 49 - أسطورة العشرة
- 50 - في جانب النجوم
- 51 - أسطورة الرغام المشكوم
- 52 - أسطورة ممنة
- 53 - أسطورة النوبة
- 54 - أسطورة العراف
- 55 - أسطورة (099000)
- 56 - أسطورة ملك الباب
- 57 - أسطورة الشفرة
- 58 - أسطورة أرض المطايا
- 59 - أسطورة رونيل السوداء
- 60 - أسطورة المتكلم الأسود
- 61 - أسطورة الشراء
- 62 - أسطورة صندوق بدمورا
- 63 - أسطورة المحركين
- 64 - أسطورة لهم
- 65 - أسطورة الشاعمت الداعية
- 66 - أسطورة الرجل الذين لم يموتوا مطلقاً
- 67 - أسطورة بيت الشياح
- 68 - أسطورة أرض القمام
- 69 - أسطورة لادى الشوق
- 70 - التعلقات المنسية
- 71 - أسطورة القلق
- 72 - أسطورة الطوطم
- 73 - أسطورة شيه مخوفة
- 74 - أسطورة أغنية الموت

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من قرط العموض والإثارة

روايات مصرية الخيب

في كل رواية متعة دائمة



و. محمد عز الدين

أسطورة أغنية الموت

- .. سمير كريسم
- .. أوت دكريسم
- .. فيتا ديستابيليس
- .. نولك أوبدورات
- .. النولك كيورات
- .. لودو منتيس أسيم
- .. إيجستاتيم
- .. بوتستيم
- .. ديزولفيت أت جلاسيم

العدد القادم

أسطورة الطفل

المؤسسة

العربية الحديثة

تتبع أحدث وأفضل الاتجاهات في النشر والتوزيع

التمن في مصر 500

وأيضا بمعدله بالدولار الأمريكي

في سائر الدول العربية والعالم

